

الحكماء السبعة

بقلم/د. عبد الغفار مكاوي



«تقديم»

كان أفلاطون هو أول من ذكر الحكماء السبعة وأسمائهم في محاورته «بروتاجوراس» (٣٤٣ د) ثم جاء مؤرخ الفلسفة اليونانية ديوجينيس اللايرسي (حوالي سنة ٢٢٠ بعد الميلاد) فروى في كنزه النفيس (وهو كتابه عن حياة الفلاسفة المشهورين وآرائهم) الكثير من أخبارهم وحكمهم الموجزة التي تلخص تجربة حياتهم، وأورد أسماءهم السبعة المعروفة وقال ان آخرين يضيفون اليهم أنا خارسي وميسون وفيريكيديس وايميبيدس، وربما زيد عليهم اسم الطاغية بيزاستراتوس وأسماء أخرى تصل بهم الى ثلاثة وعشرين حكيمًا! وظل الناس يتناقلون أنباءهم وحكاياتهم وكلماتهم من العصر اليوناني الى عصر النهضة. وكان من الطبيعي أن تتغير صورهم وأسمائهم وتفسير الرواة لهم من عصر إلى عصر، حتى لقد وصل ذكرهم وطرف من أخبارهم إلى الشرق فسجلت قصة من روائع الأدب الفارسي بعض أقوالهم الجامعة على لسان سندباد الحكيم والوزراء السبعة في كتاب السندباد (سندباد نامه)، وأشار إليهم بعض فلاسفة الاسلام ومؤرخي الحكمة وطبقات

الحكماء إشارات لا تخلو من الطرافة (كالبيروني والشهرستاني وابن النديم والشهر زوري والمبشر بن فاتك) .

لم يكن هؤلاء الحكماء فلاسفة بالمعنى الدقيق للكلمة . لقد كانوا - باستثناء طاليس أبي الفلسفة وصولون الشاعر والمشرع الأثيني المعروف - رجال عمل وبناء دول اشتهروا بالأمانة والصدق وقهر النفس واحترام القوانين . وكانت تجارب حياتهم - بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد - التي تبلورت في حكمهم وكلماتهم بمثابة البذور التي نمت بعد ذلك في أشكال فكرية حية ، فأصبحت « إعرف نفسك » عند سقراط نظرية عن ارتباط الفضيلة بالعلم والمعرفة ، وتطورت « لاتسرف في شيء » عند أرسطو إلى ما يسمى بنظرية الوسط الذهبي ، وتغلغلت فكرتهم المحورية عن التزام الحدِّ والاعتدال في روائع العقل والوجدان اليوناني في الفلسفة والشعر وأناشيد الجوقة في المأساة . .

التقيت بالحكماء السبعة في سنوات الطلب قبل ما يزيد على الربع قرن ، فقد هداني الحظ (في لحظة نادرة من تلك اللحظات التي يفتّر فيها ثغره عن بسمة ضنيّة !) إلى كتاب استوعب عباراتهم وحكاياتهم وأخبارهم الأصلية وحققه ونشره العالم الألماني الأستاذ برونو سنيل (حياة الحكماء السبعة وآراؤهم ، ميونيخ ، سلسلة توسكولوم ، ١٩٥٢) ثم ظلت أمواج الأيام والأحداث تتقاذف قارب شوقي للكتابة عنهم حتى سألني زميل كريم أن أشارك في كتاب تذكاري عن مؤرخ الفلسفة العظيم وأستاذ الأساتذة المرحوم يوسف كرم . وما كان لي أن تخلف عن ركب الوفاء لهذا الحكيم الحق الذي كان وسوف يظل القدوة والمثل الأعلى ، خصوصاً وأنا أشهد في جبلي وزماني مصرع الحكمة ومسّخها وتشويهها على أيدي عدد من الصغار الذين ابتليت بهم ، وبدأت العمل في المشروع القديم ، وما لبثت المادة المترامية الأطراف ان أفتعنتي بالتخلّي عن صورة المقال والبحث التقليدية وفرضت عليّ هذا الشكل الذي يجمع بين النثر والشعر ، ويزاوج بين الفلسفة والمسرح ، ويمدّ في حياة الحكماء والتأمل في مصير الحكمة بعدهم إلى الحدِّ الذي يحرمهم من الدخول بين دفتي ذلك الكتاب . . ثم توالى أمواج الأيام والأحداث فعصفت بشراع حياتي في محنة شخصية

فجعتني في بعض الزملاء والأبناء الذين توهمت ذات يوم أنهم ذخر البقية الباقية من العمر. وقد علمتني المحنة أن الشر والغدر المتعمد وصمة على جبين البشرية كلها، كما علمتني في الوقت نفسه أن الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول صائرون في النهاية إلى التراب الذي يسوى بينهم على صدر أمتنا الأرض. ومع أن المحن الشخصية لا تكفي لإقامة علم ولا فن، إذ لابد أن تجد «معادها الموضوعي» في شكل فكري أو أدبي باق، وأن تبلور دموعها في لآلئ صلبة صافية، فقد دفعني بقوة الضرورة القاهرة لالتزام هذا العمل الذي تراه بين يديك، وهو عمل ربما أثار في نفسك - كما أثار في نفسي - شجوناً متصل بمحنتنا العربية التي لا تخرج المحن الفردية والجماعية المتوالية عن أن تكون صوراً مصغرة منها، وشظايا وشرارات من نيران جحيمها الذي نصنعه لأنفسنا بأنفسنا.

ربما سألتني: ولماذا الحكماء السبعة في زمن نعلم أن الحكمة غابت عنه، وصارت ضعفاً واستسلاماً أو يأساً وركوداً وظلاماً، وتحولت عند عدد كبير ممن جعلوها مهنتهم إلى كتب ميتة ومذكرات ركيكة وإملاء وتلقين واجترار وتكرار، تجنى كلها على النشء جناية لا تغتفر؟ ما جدوى التذكير بهذه الشخصيات التي تنتمي إلى حضارة وثقافة أخرى في ظروفنا الحضارية والثقافية التي أصبحت أزمت تدهورها وانهارها غير خافية على أحد؟ وهل تستطيع بعض الشخصيات أو الكلمات المضئية فوق بحار الظلمات التاريخية أن تمدد طوق النجاة للسفينة الغارقة؟

إذا كانت الحكمة والحكماء قد غابا عن المسرح العالمي والمحلي (باستثناء «قلة» من شيوخنا ورعاتنا الأجلاء قد لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة) فإن ورثة الحكماء، وهم المثقفون، وسيلة الحكمة، وهي الثقافة، يستحقان أن نقف معهما قليلاً ونذكرهما بالماضي العريق والأجداد المنسيين وأسارع فأبشر القارئ بأنني سأكفيه وأكفي نفسي عبء الحل الممل العقيم عن تعريف الثقافة ومقوماتها والفرق بينها وبين الحضارة والمدنية. الخ وسأتجه مباشرة إلى حملة الثقافة وهم المثقفون بل سأحصر نفسي في دائرة واحدة من دوائرهم الكثيرة وهي دائرة المربين والمعلمين - وأنا واحد منهم -، لعلنا نستطيع أن نستوحى الحكمة والحكماء ونقيم لأنفسنا محكمة نقف

فيها أمام أنفسنا ونراجعها ونحاسبها، فمراجعة النفس ومحاسبتها، بالمعنى الكونيّ الشامل، قد كانت على الدوام جزءاً لا يتجزأ من الحكمة. . .

لا شك في أن التعميم يمكن أن يتعد بنا عن الحق والإنصاف. ولا شك أيضاً في أن حياة المثقفين في الظروف التاريخية الصعبة التي مرّت بنا في العقود الثلاثة الأخيرة لم تكن سهلة ولا يسيرة، بل كانت في معظم الأحيان شبه مستحيلة، وأدت في كثير من الأحيان إلى شعور المثقف بالاغتراب المضاعف وكادت أن تصل به إلى حافة الجنون، كما أن الحياة في ظل النظم الفردية المطلقة التي غابت عنها الحرية والقانون قد أفرخت مسوخاً شتى من الطفيليين والانتهازيين والرجسين المتضخمين وتجار الكلمة والعلم وحواة الشعارات والمغازلين للسلطة بعين وللتقدمية بالعين الأخرى، حتى ليأخذنا العجب وتغلينا الحسرة فنهتف مع الشاعر صلاح عبدالصبور (على لسان سعيد في مسرحيته ليلي والمجنون): «ربي! كيف ترعرع في وادينا الطيب، هذا القدر من السّفلة والأوغاد؟!» . . .

ومع ذلك فإن الظلام لم يستطع أن يطبق علينا تماماً، فهناك إنجازات حقيقية في مختلف ميادين الإبداع والبحث العلمي قد تمت، وروائع عديدة قد استطاعت أن تبرز فوق مياه الطوفان وتتحداه. والذي يعصم النفس من الغرق في اليأس والحزن أن حياتنا لم تخل من المخلصين العاملين في صمت، والمتفانين إلى حد الاستشهاد، والمترفعين المتعطفين مهما أصابهم الضيق والظنك والاملاق، وإن بقى علينا أن ندركهم قبل أن يهلكهم الموت البطيء بسموم المرارة والاحباط ! .

بيد أن الأهم من ذلك كله أن مفاهيم الثقافة والعمل والتعليم قد أصبحت في أشد الحاجة إلى المراجعة الشاملة، كما أصبحت نظمها ومناهجها وغاياتها وفلسفاتها - إن كانت هنالك ثمّ فلسفات! - في حاجة إلى البداية من الصفر. وكما يحدث في أوقات الأزمات والمحن التي تلّم بالافراد والشعوب وتطرح فيها الأسئلة الكبرى والنهائية ويتحتم على ملاحي السفن المهتدة بالغرق أن يواجهوا أنفسهم بهذا السؤال: إلى أين ينتهي بنا السير - كذلك تقتضي الضرورة أن نسأل أنفسنا: ماذا

نَعْلَم ولماذا نَعْلَم ؟ هل استطعنا أن نعلم الشباب وننمي فيهم روح التفكير النقدي المستقل والبحث المتحرر من التحيز والهوى ؟ هل حققنا أقل قدر من النجاح في إزالة الأوهام الراسخة وتحطيم الأصنام العقلية والتحيزات البالية ؟ ولماذا أخفقت الثقافة والعلم في تغيير واقع ملايين الناس ووعيهم تغييرا ملحوظا، ولم تخط بهم خطوات ملموسة على طريق الحرية والتقدم والاستنارة ؟ هل اكتفينا بنقل المعلومات والمذاهب والنظريات - وليته كان نقلا أميناً في كل الأحوال ! - وشاركنا، عن قصد أو غير قصد، في قمع الفكر النقدي المستقل، ومدّ ظلال الركود القبيح والتهاوي والعناء على مجتمعاتنا ككل ؟ ألم يساعد في النهاية - بجانب عوامل تاريخية واجتماعية وسياسية معروفة ولا حاجة لذكرها - في ظهور تلك النباتات الشيطانية التي تشابكت وتضخمت في حقل المعرفة والأدب والفن حتى أوشكت أن تحيله إلى غابة تمرح وتصفرف فيها أفاعي الانتهازية والتسلُّط واستغلال العلم والمعرفة في جمع الثروة ومعالجة السلطة والسعار إلى الشهرة والمنصب والمجد الكاذب ؟ هل وعينا الدرس القائل أن المعلم في حاجة إلى تعليم والمربي في حاجة إلى التربية فتحملنا المسؤولية بشجاعة، وتشبشنا بأعلام القيم في زمن سقوط القيم، وتمسكنا بالراية شأن الجنود المناضلين ؟ وهل استطعنا أخيرا أن نقف متساندين جبهة واحدة للضمير اليقظ - كما وقف الحكماء والمعلمون الحقيقيون على الدوام - لنرد المحنة عن حضارتنا التي يطبق عليها الحصار وتتعرض للتصفية - لا بفعل الصهيونية والاستعمار وحدهما، وتُضطر إلى التراجع والانكماش كأنها كائن خرافي آن أو انقراضه، بعد أن لم يعد له مكان في عالم تجاوزه وأنكره وسخر منه، اللهم إلا أن يصبح حقل تجارب من كل نوع ؟.

قلت إن الظلام لم يطبق بعد، فما زال هناك أمل ولا بد أن يكون الأمل. إن الكثيرين قد سقطوا أو تاهوا، وكثيرون أيضا قد تحملوا وصمدوا صمود الرواقين في عصور الشك واليأس والوحشية والجبروت. ولو قدر لحكمة هؤلاء الحكماء أو غيرهم أن تبعث حية لمدّت يدها لمن سقطوا أو تاهوا قائلة: إن كل شيء لم ينته بعد. تعالوا إلى طريقي ولنبدأ من جديد، فالأمر لا يتعلق بنا بقدر ما يتعلق بحضارة تخرقها الكوارث وتنتظرها كوارث أكبر، وإذا اختنق الابداع وتهافت إرادة الفكر الحرّ

المستقل حكمت الحضارة على نفسها بالانتحار . أما أولئك الذين تحملوا وصمدوا فسوف تواجههم قائلة : ليست الشجاعة في الصمود والكبرياء الجريئة فحسب . إن الشجاعة والحقيقة في الفعل في تغيير الواقع أعلم أنكم تعبتم وعانيتم . ولكن تذكروا عشرات من المفكرين الذين انتهت حياتهم في السجن أو المحرقة ، على الصليب أو المشقة . إنهم لم يفاجئوا في لحظاتهم الأخيرة بالشر والغدر ، وإن لم يتوقعوا أن يصل إلى ما وصل إليه من القسوة والخسّة ، ومع ذلك لا يصح أن تنسوا أن بقايا رمادهم هي الأرض التي تقف عليها الحقيقة والحرية والأمل في التطور ، ولولا أنوار إبداعهم وكفاحهم لصار تاريخ البشرية ظلمات فوق ظلمات . .

إن الحكم التي ستقرؤها على ألسنة الحكماء السبعة لا يمكنها بطبيعة الحال أن تثير كل هذه الأسئلة أو توحى بكل هذه القضايا والمشكلات ، فلا بد من الاعتراف بأن بعضها سخيّف وساذج ، وبعضها الآخر مجرد وصايا عملية ترتبط بالعادات والتقاليد الشعبية في ذلك العهد البعيد من عهود الحضارة الإغريقية المبكرة . ثم إن أروع أقوالهم - مثل إعرف نفسك وابتغِ الحدَّ والقصد في كل شيء وأدرك قيمة اللحظة . . الخ - يمكن أن تفسر ، وقد فسرت بالفعل ، تفسيرات متنوعة ، ولكن المهم بعد كل شيء هو قراءة هذه الحكم الماضية على ضوء الحاضر . وإذا كان الماضي لا يعود ولا يتكرر أبداً ، فإن نفس المشكلات والأخطار يمكن أن تواجه الشعوب والحضارات المختلفة عندما تجد نتفسها على مفترق طريق تاريخي يقتضي حكمة جديدة يحققها حكماء من نوع جديد ، وإذا كان العلم قد حل اليوم محل الحكمة القديمة ، فإن من واجب العلماء والمعلمين أن يضيفوا عليه كبرياءها وجلالها وإخلاصها في السعي إلى الحقيقة المنزهة . ولا بد كذلك أن يعيدوا إليه دورها العريق في «إنقاذ المدينة» والدفاع عن أسوارها وحرية أهلها . .

لقد قيل أن الانبياء غير المسلحين يخفقون دائماً (ميكافيلي) . ومع أن المثقفين الذي نقصدهم قبل غيرهم ، وهم العلماء والمعلمون ، ليسوا رسلا ولا أنبياء - على الرغم من بيت شوقي المشهور الذي لم يعد أحد يصدقه أو يأخذه مأخذ الجد ! فإن سلاحهم الوحيد الذي لا يجوز أن يتخلوا عنه هو الشجاعة . فلا قيمة لعلم أو فكر

لا يؤصل الحرية، ولا جدوى من تعليم فقد شجاعة التساؤل والنقد المستقل .
ولذلك لم يدهشني كثيرا ان أكتشف بعد الفراغ من كتابة هذه الحوارية أنها تنتهي
بسطور تتردد فيها أصداء أبيات من قصيدة شهيرة من يوميات نبي يحمل قلما ينتظر
نبيا يحمل سيفاً (من مسرحية ليلى والمجنون لصلاح عبدالصبور) . ولا تريد هذه
السطور الغاضبة أن تهاجم أحداً ولا أن تدين وضعاً محدداً . وهي كذلك لا تهدف
إلى تعرية جوانب ضعف لا يخلو منها البشر بحكم طبيعتهم البشرية، كما أنها بعيدة
كل البعد عن أن تضع على رءوس المثقفين أو المعلمين هالة شاعرية وهمية، إن الأمر
في الواقع لأكبر من ذلك وأخطر لأن الخطر الذي يتهدد حضارتنا يتخطى الاشخاص
والظواهر والأوضاع المحددة بالأزمان والبلدان، وقد أكدت السطور السابقة أن
المثقفين والعلماء والمعلمين بوجه خاص هم ملاحو السفينة الموشكة على الغرق .
واليوم آن الأوان لكي يوجهوا السفينة ويصححوا اتجاهها ويوقفوا ركابها . ولن
يقدورا على ذلك حتى يبدأوا بأنفسهم ويستيقظوا من سباتهم ويحاسبوا ضمائرهم
ويراجعوا علمهم ومعرفتهم وفكرهم وسلوكهم . فإذا استطاعت هذه المحاورات مع
الحكماء السبعة أن تدعوهم إلى محاورة النفس وتذكرهم بأن الحكمة لم تمت ولا يمكن
أن تموت، وأنها تحيا وتتجدد وتقاتل عند الضرورة كلما أرادوا الحياة لأنفسهم
وحضارتهم وثقافتهم - إذا استطاعت أن تحقق شيئا من ذلك فقد بلغت غاية ما
أتمناه . .

□□□

« الحكماء السبعة »

المؤرخ يقلب في الأوراق، يجمع الوثائق ويتحقق من الحقائق التي اختلطت
بالغرائب والخرافات والأساطير وحكايات الخوارق . وعندما يدلم الأفق وتأخذه
الحيرة من كل سبيل يرفع صوته : يا أشباح الزمن الماضي، من عمق القرن السادس
قبل الميلاد . صوت من زمن المحنة يدعوكم فاستمعوا له . شبح يتشبث بالصدق
وبالحكمة في عصر الكذب الشائن والغدر الخائن، يرجو أن يتحاور معكم، أن

يسألکم وتحييويہ . وتتراحم الأشباح وترتفع الأصوات . السبعة صاروا سبعة عشر وأكثر . والحيرة تزداد عليه فيهتف :

المؤرخ : عشتم مثلي في زمن المحنة . والمحنة عاناها الشعر وقاستها الكلمة في العقود الأولى من قرنكم السادس كانت أصوات الشعراء ما تزال عالية شجية : سافو وألكايوس من جزيرة لسيوس . سيمونيدس وميمنيرموس من أيونيا ، صولون الشاعر والمشرع الشهير من أثينا ، لكن لا بد أنهم قد ماتوا جميعا قبل انتصاف القرن ولم يخلفهم أحد . ولا بد أن الجيل الذي تلاهم قد خبت فيه نار الشعر وخرست قيثاره ، حتى حلت سنة ٥٣٠ فانطلقت شرارته المقدسة من جديد . هذا الجيل المجذب هو الذي ازدهرت فيه حكمتكم . حكمتكم التي لم تكن شعرا ولا فلسفة ، بل تجسيدا للفتنة والخبرة والتجربة العملية .

الحكماء : تتسرع في توجيه التهمة وتضنّ علينا بالحكمة . مع أننا منذ القدم نسمى بالحكماء .

المؤرخ : معذرة . أنا لا أتهم ولا أدافع بل ألتبس آثار الحكمة أو أبكي فوق الاطلال . ما ذنبي إذا كان عصري هو عصر سقوط القيم وزمني ضاعت فيه الحكمة والعقل ؟ ما ذنبي إن كانت كتب التاريخ تمجدكم أحيانا أو تبخل في أحيان أخرى فتسميكم الرجال الأذكىء ؟ هلا أجبتكم على سؤالتي ؟ .

الحكماء : لا ندري كيف نردّ عليك . لأن الواقع العملي في أيامنا بدأ يفرض سلطانه فازدري الشعر ، واستصغر شأن الكلمة ، وأخذ يولي وجهه شطر حقائق الحياة . .

المؤرخ : ربي . هذا ما نلقاه الآن . .

الحكماء : اتدين زمانك وزماني ؟ . .

المؤرخ : لا . لا . لا . بل أهمس من عجز لساني وجناني . أكمل قولك . .

الحكماء

: أو لأن العاطفة الدينية شطت في التحليق حتى تاهت وسقطت في الهاوية العميقة التي تستعصى على العبارة والخطاب .

المؤرخ

: مهما يكن الأمر فقد راجت حكمتكم .

الحكماء

: حكمتنا؟ ها أنت تعود الى الحق . لقد تناقلتها الأفواه فلم تكن بحاجة إلى التدوين، اللهم الا على أحجار «أوستيا»^(١) أو على جدران معبد «دلف» . ولهذا ليس عجيباً أن ينسجها الاغريق إلى الاله أبوللو أو إلى جنى بحري حكيم كانوا يدعونه عجوز البحر الالهي . .

المؤرخ

: معنى هذا أنها وجدت قبل وجودكم؟ انتظروا . . لقد وردت في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجاميش البابلية سيرة سبعة حكماء أسسوا مدينة أوروك، كما تلقى حكماء الهند السبعة الذين يسمون «الريشي» الحكمة وفن الغناء من الآلهة، ووضع شاعركم هوميروس مجلس حكماء سبعة تحت تصرف أجاممنون وبرياموس^(٢) . حكمتكم أقدم مما أتصور أقدم مما كنت أقدر .

الحكماء

: ولكن لم يتأكد صدقها الا بنسبتها إلينا . نحن الذين كافحنا وأسسنا وتجولنا فوق الأرض الغانية بدمنا ولحمنا . .

المؤرخ

: ورُفِعتم لمصاف الابطال ونُسجت حولكم الحكايات والخرافات . .

الحكماء

: هل يقع الذنب علينا؟ كنا بشرا مثل البشر، صمدنا لأعاصير الزمن القلقة، أعلينا بناء حياتنا وحياة شعوبنا . أتلومنا لأن الناس جلّلت رؤوسنا بغار الحكمة الذي بخلت به على رؤوس الشعراء، أم لأن الأفكار العظيمة لا يصدقها الناس حتى ينسبوها الى عظيم حققها في الواقع، أم لأن الحكايات والخرافات والأساطير عادة ما تغزل خيوطها بعد موت أبطالها^(٣)؟ أو لا يكفيننا أن حكمتنا راجت . .

المؤرخ

: بل مازالت رائجة وعلى كل لسان، انتشرت بين الأمم وفي مختلف الأزمان . .

الحكماء

: حكمتنا راجت في قرن سكنت فيه أوتار الشعر . .

المؤرخ

: وبدأت تزدهر شجرة الفلسفة . .

الحكماء

: الفلسفة؟ . .

المؤرخ

: صفة أخرى للحكمة . . ولحب الحكمة . . كان من الممكن ألا تبدأ

لولاكم . كان من الممكن ألا تزدهر الشجرة لولا البذرة . .

الحكماء

: والبذرة ألقيناها في التربة، هل مازلت ترضن علينا؟ . .

المؤرخ

: لست أضنّ عليكم بالحكمة، لست بخيلا باسم الحكماء، لكن

التاريخ يحيرني وتحيرني الأسماء، حتى العدد اختلفت فيه الآراء . .

الحكماء

: هذا ليس جديدا . من منتصف القرن السادس قالوا سبعة، زادوا

العدد فقالوا سبعة عشر حكما . . ليس جديدا ما نسمعه منك . .

المؤرخ

: بل ما تشهد به الوثائق أو تشهد عليه . مع ذلك تتردد فيها أربعة

أسماء . . صولون المشرع . . .

صولون

: والشاعر أيضا . لا تنس . .

المؤرخ

: كيف لأحد أن ينساك؟ الشك يحيط بأخبار الحكماء الستة، أما أنت

فرأس الجبل يطل على تاريخ اليونان . .

صولون

: رأس الجبل؟ كلامك هذا يضحكني . . مع أن الكاهن العجوز في

مصر قال لي: يا صولون! يا صولون! ستبقون على الدوام أطفالا

أيها الاغريق، إذ لا يوجد شيخ اغريقي! . .

المؤرخ

: تلك رواية أفلاطون^(٤). لكن حفظ التاريخ لنا أشعارا منك .

صولون

: هل تذكرون مرثيتي التي بدأتها بهذه السطور .

الآن عرفت الأمر . . والألم عميق في أعماق الصدر . . وأنا أشهد أكبر

أبناء أيونيا ينهار ويُدَحَّرُ . .

المؤرخ

: هكذا بدأتها بعد أن اشتد النزاع في الدولة، واستعبدت الأقلية

أغلبية المواطنين، وثار الشعب على الأغنياء والاعيان . احتدم

الصراع بينها وطال . وانتخبوك رئيسا وقاضيا يفصل بينهم، وكلفوك

بتدبير نظامهم ووضع دستورهم . كنت حكيما ورحيما ، لم تؤثر أي الحزين على الآخر . . فوقفت في صفهما ونصحتهما بالصلح ووقف الصراع . . كان الكل يجلك ويقدر موهبتك ، مع أنك لم تكن أغناهم أو أرفعهم في المنصب والجاه . ورحت تحذر الأغنياء من الترف والتطرف ، وتنصحهم بالتواضع والاعتدال ، وتلقي الذنب عليهم وعلى تكبرهم وجشعهم إلى المال فيها حاق بالمدينة من خراب ، إسمع شهادة حكيم آخر بعدك : حرّ صولون الشعب في الحاضر والمستقبل عندما حرّم اقتراض المال في مقابل رهن الجسد ، وضع القوانين وأصدر تشريعا بالاعفاء من الديون العامة والخاصة أو بنفض الأعباء^(٥) . .

المؤرخ

: ويذكرنا هذا باسم آخر . .

بيتاكوس

: بيتاكوس من ميثيلينه . سموني الطاغية وكنت رحيمًا بالأوغاد . .

صولون

: طاغية ورحيم . . حقا ما أغرب هذا ! ! . .

بيتاكوس

: وما وجه الغرابة يا صولون؟ أنت نفسك سمعت عني كما سمعت

كلمتي <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

صولون

: لما بلغني قولك : من الصعب أن يكون المرء طيبا ، أعجبتني حكمتك

وقلت : ومن الصعب أن يكون جميلا . .

بيتاكوس

: وهل عرفت متى قتلها أو كيف؟ لقد رأيت أعدائي يتكاثرون ،

ولاحظت الكراهية في عيون الشعب الذي أنصفته وكافحت لكي

أرفعه من وهدة بؤسه ، وفي ضمائر الأغنياء والنبلاء الذين قلمت

مخالبهم من أجله ، ونفيت بعضهم من المدينة فأخذوا يهددونني

ويتآمرون على قتلي . . واشتدّ بي اليأس فذهبت إلى معبد الاله

وتوسلت أمام المذبح أن يحررني من السلطة . .

المؤرخ

: نعم . . نعم . . أدركت صعوبة أن يكون الانسان طيبا في عالم

شرير . . أدركت بأن الحاكم مهما فعل يظل كرها مكروها . .

فالأغنياء كرهوك لأنك وقفت بجانب الشعب وانحدرت من صلبه .
والشعب كرهك لأنك كنت فقيرا مثله وجلست على كرسي
الحكم . .

وردد الجميع أغنية تسخر منك :

اطحنى أيتها الطاحونة اطحنى . .

فقد كان بيتاكوس نفسه يطحن . .

بيتاكوس الملك في ميتيلينه العظيمة . .

طاليس : سمعت الأغنية بنفسي لما زرت جزيرة لسبوس وتوقفت بقرية
إريسوس .

بيتاكوس : هل سمعت كذلك أناشيد الحقد والهجاء التي أطلقها الشاعر
ألكايوس وعصابته؟ أنا لم أكرهه ولم أكره شعره . . تمنيت أن يضع
يده في يدي ويساعدني مع غيره من النبلاء على النهوض بالمدينة .
لكنهم أنكروا عدلي وشجاعتي التي اعترف بها الاغريق في كل
مكان . لم يغتفروا لي أبدا أنني تزوجت امرأة من طبقتهم هي ابنة
دراكون ومن نسل الأثريدين ، وأخذ الشاعر الحقود يعيرني بقدمي
المفلطحة التي كنت أجراها بصعوبة ، ويصفني بالدعيّ والمتسخ
والمبطون ، بل أشاع أنني أوفر ضوء المصباح وسماي ملتهم
الظلمات . .

المؤرخ : وهل نفيت عن المدينة ولم ينقطع هجاؤه ولا دعواته للآلهة الأقوياء
بأن يخلصوه من محنة المنفى ومرارته ، ويطلقوا ربات القصاص
عليك ، ويعينوه وعصبته على قتلك بالسيف وتحرير الشعب من
آلامه ومخاوفه ، زاعمين أنك حنثت بالقسم الذي قطعته على نفسك
وابتلعت المدينة في جوفك . .

بيتاكوس : ومع أي عفوت عنهم بعد القبض عليهم . . فلم يرحمني التاريخ من
وصمة الطغيان . .

المؤرخ

: ولا ربحك المؤرخون . فاللقب ارتبط باسمك في كل المآثرات . أما «بياس» القاضي من آسيا الصغرى فقد سخا عليه الزمن بلقب الحكيم . .

بياس

: معظم الناس أشرار . هذا ما قلته ، لما حاصر ألياتيس ملك الليديين مدينتنا بريينه أصدر الأمر بأن يعلف بغلان إلى حدّ التخمة ويساقا إلى معسكر الأعداء . وفزع الملك حين رآهما وعرف أن لدينا من مخزون الغلّة ما يكفي حتى الحيوانات ، ولهذا بعث إلينا رسولا يطلب السلم والسلام . .

المؤرخ

: وكيف لفظت الأنفاس؟ . .

بياس

: اسمع ياولدي . لما شخت وطعنت بي السن استدعيت للشهادة أمام المحكمة . وتكلمت وأبرأت المظلوم من التهمة . وانطلق محامي الخصم وأخذ يدافع عنه فسئمت ، وأملت الرأس على حجر حفيدي حتى غمت . . هل بلغك ياولدي ما فعلوه بالمظلوم؟ . .

المؤرخ

: برّاه القضاة من التهمة ، ثم وجدوك ميتا على حجر حفيدي . .

بياس

: حمد الله فقد صدق كذلك ما قلته : أن أردت أن تقيم في مدينة فكن طيبا مع جميع المواطنين^(٦) .

المؤرخ

: كلمة بليغية من رجل خلده البلاغة . . والاسم الرابع هو طاليس الملطي . .

طاليس

: أول من نقي الحكمة من سحب الأسطورة وضباب الغيب . . أول من سأل سؤال العقل عن المبدأ والأصل وقال . .

المؤرخ

: أصل جميع الأشياء هو الماء ، بالآلهة امتلأت كل الأشياء . .

طاليس

: وكذلك قلت : اعرف نفسك . .

المؤرخ

: أنت القائل أم نقشت قبلك فوق جدران المعبد في دلف؟ ما أعمقها كلمة ! لكن تتنازعها الأسماء . .

بيرياندر

: أي جحود هذا؟ كيف نسيتم اسمي؟..

الحكماء

: مهلا يابيرياندر. هل ينسى الطاغية القاسي من كورنثه، من بلغ

الذروة في القسوة ولهذا احتاج إلى الحرس الخاص؟..

المؤرخ

: وكان قوامه ثلاثمائة من حملة الدروع والحرا ب.

بيرياندر

: أتذكرون صرامتي وتنسون عدلي؟ لقد حرّمت على المواطنين أن

يكون لهم عبيد. نهيتهم عن تبديد الوقت في اللهو والفراغ

وأوجدت لكل منهم عملا. أعلنت الحرب على الترف وعاقبت

المتسكعين في الأسواق. لم أثقل على الناس بالضرائب واكتفيت بما

نحصله من السوق والميناء. وزعت أراضي النبلاء على الفقراء. لم

أنخط حدود العدل ولم أتعد على انسان. وكرهت الشرّ وألقيت

القوّادات بقاع البحر! أنسيتم كيف صالحت بين أهل ميتيلينه

(تحت قيادة بيتاكوس) وأهل أثينا (تحت زعامة فرينون) عندما

تصارعا على ملكية « سيجايون » ففصلت بينهم بالحق. واحتفظ كل

منهم بما كان يملكه؟ لقد ازدهرت في عهدي التجارة والحضارة.

يكتفي أن الشاعر « أريون » كان صديقي!..

المؤرخ

: أريون الميثيمي من أهالي لسبوس؟ من تمّت في عهدك معجزته؟..

أشجى الأصوات غناء فوق القيثارة وأول من أنشد شعر الديثيرامب

وسماه وقدم جوقته فوق المسرح في كورنثه؟ لا لن ينساك التاريخ ولن

ينساه. لن ينسى معجزته التي رواها علينا أبو التاريخ. إذ استقل

مركبا كان عليها قراصنة ولصوص تأمروا عليه عندما ظنوه يخفي

الكنوز. مع أنه لم يكن يملك الا قيثاره! وانطلق يغني علّ غناء

الشاعر يسكت فيهم نزعات الشرّ. جاء الدلفين - صديق الانسان

على صوت غنائه. وسرعان ما ألقى الشاعر بنفسه على ظهره فحمله

الى البرورسا به على رأس تانياروس..

المؤرخ

: لا لم ينس التاريخ^(٧). وكذلك يذكر قولك: كل شيء يرجع إلى

المران . لكن سؤالاً يحضرني الآن . .

خيلون : قبل سؤالك ، هل يمكن أن تهمل اسمي ؟ أم تهمل تحذيري : ان ضمنت غيرك حلت بك المصائب ! أو لم بين أهالي اسبرطة لي المعبد في الطريق من المغزل الى ابواب المدينة؟ . .

المؤرخ : وهناك قدسوك ورفعوا ذكر البطل الخالد . . لكن ارجع لسؤالي : لم أثرتم هذا الكلم الموجز؟ . .

الحكماء : من يستصغر شأن الكلمة يقتصد في استعمالها . كانت أيامنا توجب العمل وحسم القرار ، ولهذا بقيت كلماتنا القليلة قواعد لهداية الحياة ، تحذيرات من الوقوع في الأوهام الساذجة والتسرع في الثقة بالناس ، نصائح باللجوء الى التحفظ والحرص والاعتدال والتزام الحد . .

المؤرخ : لكن بالغتم في الایجاز ، يكفي ان يروي الشاعر «ألكايوس» هذه الكلمة التي يقولها على لسان «أريستوداموس» الذي ضم اليكم في العصور المتأخرة : «الرجل - المال»^(٨) - وأن يضيف الشاعر «پندار» وكأنه يشرحها : قال هذا عندما اختفى اصدقائه مع اختفاء املاكه . . يكفي أيضا أن نقرأ كلمات أخرى توحى بتشككم في الانسان ورؤيتكم للوجه الشائه خلف قناع البهتان : «لا تتطرف في شيء!» ، «صعب على المرء أن يكون طيبا» ، «الحد هو الأفضل» ، «أغلب الناس أشرار» . .

الحكماء : هل أمنت بما قلناه؟ هل صدقت الحكماء؟ . .

المؤرخ : بل صدقت الأيام الصعبة والأرزاء.مع ذلك فالحكمة أوسع من هذا . .

الحكماء : لم تكن الحكمة في أيام المحنة شيئا يختص به الشعراء أو الحكماء . كانت ملك الشعب العامل والفقراء . فالنجار البارح يبني سقفا يصمد للعاصفة فيصبح أحد الحكماء . . وكذلك شأن الحوذى أو

الخبار أو الملاح أو الشاعر والفنان ..

هل مازلت تسيء الظن، توازن بين الآراء ..

: الحكمة والحيرة صنوان ..

المؤرخ

: فانظر في الأوراق وراجع، وبدأ قصتنا بالقول المحكم والكلم

الحكماء

الرائع . قد يقطع ذلك شكك ويزيل الحيرة ..

: أو ينفع جيلا قد بيعت فيه الكلمة بفتات زائل، والحكمة صُرِعَتْ

المؤرخ

بسهام الخسة والغدر القاتل ..

: ولهذا تبقى الحكمة ..

الحكماء

: في جوف الكتب المنسية ..

المؤرخ

: أو أعماق القلب .. ابدأ يا ولدي .. اسمع جيلا يفتقر لحب

الحكماء

الحكمة ..

: أو يفتقر إلى الحب ..

المؤرخ



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

: آه! .. تتضارب كل الأقوال وتتناقض كل الآراء . الأسماء مختلف

المؤرخ

عليها من كاتب إلى آخر، والقول الواحد قد ينسب إلى أكثر من

واحد ..

: اعرف نفسك .. هذا ما قلت ..

طاليس

: بل هذا ما تتصوره أنت وبعض الكتاب . هل تعلم أن «ثيوفراسط»

المؤرخ

يرجح أن يكون مثلاً شعبياً من قديم الزمان، وأن بعض المؤرخين

يرجعه الى زميلك خيلون، والبعض الآخر يأتي به على لسان خصي

مغمور كان من حراس قدسي الأقداس في معبد دلف؟ بل أن

أرسطو في محاورته عن الفلسفة ينسبها الى عرافة هذا المعبد^(٩)، وكل

هذا يؤكد أنها كانت قد نقشت قبلك وقبل خيلون الاسبرطي على

- معبد دلف قبل أن يدعيها كلاهما لنفسه . .
- خيلون : أنا لم أدع شيئا . . بل قدمت النذر ووفيت العهد . . فبعد أن وصلت إلى دلف وضحيث وأحرقت البخور أمرت بأن تحفر هذه الحكم على عمود المعبد : اعرف نفسك ! لا تتطرف في شيء ! سبب المصائب أن تضمن غيرك ! . .
- طاليس : حتى هذه الحكم تقال على لسان غيرك وغيري . .
- المؤرخ : فلنقرأ ما اتفق عليه الاجماع ، في أقدم قائمة بالأسماء والأقوال . .
- طاليس : قل وسيهتف كل منا باسمه ! . .
- المؤرخ : اعرف نفسك ! . .
- طاليس : طاليس ! . .
- المؤرخ : لا تتطرف في شيء ! . .
- صولون : صولون ! . .
- المؤرخ : إن تضمن غيرك فتوقع كل مصيبة ! . .
- خيلون : خيلون ! . .
- المؤرخ : إعرف فضل اللحظة . .
- بيتاكوس : بيتاكوس . . والافضل من هذا : اللحظة إن وانتك فلا تتركها تفلت منك ! . .
- المؤرخ : معظم الناس أشرار . .
- بياس : بياس ، عن تجربة ، وبحق زيوس ، ماقلت ! . .
- المؤرخ : كل شيء يرجع للمران . .
- بيرياندر : بيرياندر ، عن تجربة ايضا ، والآلهة شهود ! . .
- المؤرخ : تبقى حكمة كل الحكمة ، قائلها المجهول يلخص فيها . .
- كليوبولوس : كليوبولوس . . هذا كليوبوليس ! كيف تجاهل هذا الزمن الجاحد ابن أويجاروس ، من لندوس فوق جزيرة رودوس ؟ كيف تناسى من كتب النقش على قبر ميداس الملك الأسطوري . .

- المؤرخ : ميداس؟ من أعطاه ديونيزيوس أن يتحول ما يلمسه ذهباً . .
 صولون : حتى المطعم والمشرب . مسكين يا ميداس! . .
 كليوبوليس : كانت فوق القبر المشهور فتاة أخذت شكل الهولي، ولهذا قلت :
 فتاة من البرونز أنا وأرقد على قبر ميداس ،
 مادام الماء يسيل ، والشجر يخضر ،
 والقمر يطلع ويضيء ، والشمس تنير الكون ،
 مادامت الأنهار تتدفق ، وموج البحر يوشوش للشاطئ ،
 فسأبقى في هذا الموضع ، فوق التل المرتفع على المنطقة المنكوبة
 أعلن للعابر ولكل مسافر . .
 ها هنا يرقد ميداس تحت الثرى . .
 المؤرخ : لم ينس التاريخ كذلك أشعارك ، لم تتسرب ألغازك من كفيه . .
 صولون : لكن تبقى حكمته أخلد ما قال . .
 كليوبوليس : قلت من الحكم كثيرا . . أية واحدة تقصد؟ . .
 المؤرخ : الخدّ هو الأفضل . .
 الحكماء : هي حكمتنا ، كنز العقل الاغريقي وآية وجدانه ، كلمته للعالم
 أجمع . .
 المؤرخ : ولهذا ليس عجباً أن يلتقط الحكماء الكلمة ، من كل الأجناس وكل
 الأديان يقول العقلاء فلا يسمع قول : لا تتطرف! لا تشتط! إلزم
 حدّك . . واعرف إنك إنسان . .
 الحكماء : إنسان فان ، لست إلهاً ، فتذكر هذا واترك سيف الطغيان ، يسقط
 من يدك فلست سوى بشر فان! . .
 المؤرخ : حقاً! هذا شيء اكدتموه أيها الحكماء وأجمعتم عليه . . وعندما
 اجتمعتم كما يقول القدماء . .
 الحكماء : اجتمعنا؟ أجل أجل! . . عند الملك كرويزوس . .
 المؤرخ : أو قارون ، اعني ملك في عصره . .

الحكماء : وتكلم صولون فقال :
 صولون : أنا؟ للملك كرويزوس . ذاكرتي ضعفت يا ولدي . .
 المؤرخ : سأذكرك فأنصت . .

٣

المؤرخ : كانت أعينكم تلتفت إلى الشرق الساحر باستمرار، الشرق الغامض
 ذي القوة والترف الباذخ والجبروت .
 الحكماء : لكننا ذهبنا اليه لتتعلم أيضا .
 المؤرخ : وتعلمتم الكثير، وإن كنا نفتقد الأدلة والأسانيد . .
 طاليس : أنا مثلاً سافرت إلى مصر . .
 المؤرخ : وتعلمت الرياضة وجلبت الهندسة إلى الاغريق . . أما أنت . .
 صولون : أنا طوّفت بأسياً لأشاهد هذا العالم . وحديثي كان مع كاهن مصر
 الشيخ حديث مشهور . . كم يعجبني حين أفكر فيه الآن . .
 الحكماء : أنا مازلنا أطفالاً . . رغم مرور قرون وقرون؟ . .
 صولون : ولماذا الغضب وقد صدق الشيخ؟ . .
 الحكماء : أم سخر كعادة أبناء النيل؟ . .
 صولون : بل صدق وحق زيوس . وامتح الاغريق مديحاً أتمنى لو كانوا أهلاً
 له . . أطفال نحن وفي كل منا طفل . .
 الحكماء : وتريد من الحكماء السبعة أن يصدقوه؟ أنت يا صولون؟ . .
 صولون : من قال بأن الحكمة تعني العجز أو الشيخوخة؟ من ينكر حكمة
 الطفولة وطفولة الحكمة؟ أليست حكمتنا في بسطتنا، وبساطتنا هي
 التي جعلتنا نصمد لتحدي الملك الجبار ونواجه قوته وغناه الفاحش
 بالبراعة والقناعة والحكمة؟ . .
 المؤرخ : معذرة يا صولون . ولقد أدهشت بالبراعة الحكيمة أو بالحكمة البريئة

وتعجب مما قلت وغضب وثار. نريد الآن أن نعرف ماذا قلت لهذا الملك وماذا قال، كيف التقيت به وأين كان اللقاء..

صولون

: لم أره وحدي.. طلب لقاء الحكماء السبعة..

المؤرخ

: وذهبتم لزيارته، وذهلتم لما رأت العين كنوزه..

الحكماء

: ورثينا له..

المؤرخ

: لأغني ملك في الأرض؟..

الحكماء

: ورفضنا أن يوصف هذا الملك بأسعد إنسان. فليتكلم عنا صولون..

المؤرخ

: أرجوك.. تكلم..

صولون

: لما فرغ كرويزوس من اخضاع آسيا الصغرى بأكملها وضمها إلى مملكة الليديين، زحفت حشود الاغريق الحكماء إلى عاصمة ملكه المزدهرة سارديس، وزحفت كذلك معهم. كنت قد ذهبت إلى مصر التي يحكمها أمازيس وشاهدت العالم وتحولت فيه عشر سنوات، واستقبلني الملك في قصره مع بقية إخواني فأحسن الاستقبال، وفي اليوم الثالث لزيارتنا أمر الملك خدمه وعبيده أن يأخذونا إلى دهاليزه ومخازنه لتفرج على التحف والكنوز التي أودعها فيها. ثم رجع بنا الخدم والعبيد إلى قاعة العرش حيث كان الملك يجلس في أهته محاطا بأعوانه وقواده وأعيان مملكته. لم يكذبني حتى هتف صائحا:

« أيها الضيف من أثينا. وأنتم أيها الضيوف! وصلتنا عنكم وعن حكمتكم الأخبار. وسمعنا عنك يا صولون وعن أسفارك التي قمت بها حبا في الحكمة، والآن تحركني الرغبة في أن أسألك: هل رأيت في أسفارك أحدا يمكن أن يوصف بأنه أسعد إنسان؟ »..

لم يخف على أن الملك وجه إلى هذا السؤال وفي نيته أن أقول: أنت أيها الملك الغني العظيم أسعد إنسان. لكنني لم اتملقه بل صارحته بحقيقة رأيي: « أيها الملك إنه تيلوس الأثيني! » تعجب الملك من

قولي وأسرع بالسؤال. « وكيف حكمت بأن تيلوس هذا هو أسعد إنسان؟ » قلت: « عدة أسباب يامولاي. أولها أن كان لتيلوس هذا عدة أبناء تحلوا بالذكاء والصلاح والجمال، ولقد سعدت عيناه برؤية أبنائهم في حياته. والثاني أن الرجل بعد أن تقدم به العمر وعاش أطيب حياة ممكنة مات كذلك في النهاية أروع ميتة ممكنة، فقد شارك مواطنيه الأثينيين في الحرب التي اشتبكوا فيها مع جيرانهم في ايلويزيس، وطارد الأعداء الذين فروا مهزومين، ومات أثناء هذه المطاردة أجمل ميتة. ودفنه الأثينيون حيث سقط صريعا على نفقة الدولة، وكرموا وأقاموا له طقوس التوديع والاحترام. » .

استمع الملك إلى قصة تيلوس وهو يعض على شفتيه وأسنانه. . . سكت قليلا ثم غالب غيظه وسأل: « ومن هو أسعد إنسان رأيته بعد تيلوس؟ » قلت: « هما اثنان أيها الملك العظيم. » قال في لهفة: « احك عليّ قصتهما ياصولون » قلت: هما كليوبيس وبيتون. كانا من حيث المولد من أرجوس، ولهذا جدا ما يكفيهما للحياة، وكان كلاهما حسن الصورة قوي الجسد، وحصلا على جوائز كثيرة في المسابقات الرياضية. سألتني يامولاي أن أحكي قصتهما؟ أنها سيغنياني عن هذا ويريوان القصة بنفسهما.

: كان أهالي أرجوس يحتفلون بعيد هيرا، ربة السماء وسيدة الالهة وشقيقة زيوس وزوجته. وكان علينا أن نذهب بأمننا المريضة إلى معبد الالهة للتبرك وزيارة قدس الاقداس، لكن الثيران التي تجرّ العربات التي تستقلها لم تكن قد رجعت بعد من الحقل. وضاق الوقت عن الانتظار فوضعنا رقابنا في النير وجردنا العربة التي حملتها إلى الاحتفال مسافة خمسة واربعين فرسخا^(١٠) حتى بلغنا المعبد. ورآنا الناس على هذه الحال فهللوا. لكن الأنفاس تحلت عنا فحتمنا حياتنا الفانية أجمل ختام. وأثبت الاله بموتنا أن من الأفضل للإنسان

كليوبيس
وبيتون

أن يموت على أن يجيا دون وفاء أو إحسان . فقد التفت أهالي أرجوس حولنا وأثنوا على قوتنا وشبابنا وراحوا يحيون أمنا العجوز ويهثونا بابنيها . أما الأم التي أفعم فؤادها الفرح فقد وقفت أمام تمثال الالهة وأخذت تبتهل اليها أن تمنح ولديها أفضل ما يمكن أن يلقاه الانسان . وبعد أن أدت الصلاة تقدمنا نحن وضحيننا للربة وأكلنا مع الأكلين . ثم أرحنا أجسادنا المنهكة على أرض المعبد ولم نقم من رقدتنا أبدا . وأقام لنا الأرجيون تماثيلن نصبوهما بعد ذلك في معبد دلفي ليضمننا لنا الخلود . . .

كرويزوس : أيها الضيف القادم من أثينا . أهكذا تبدو سعادتي في نظرك هباء ولا أستحق أن تسوى بيني وبين عامة الناس؟ . . . عرفت مقصده فأجبت في خشوع : مولاي الملك كرويزوس . . . تسألني عن حياة الانسان ومصيره ، وأنا لا أعلم إلا أن أحكام الالهة غامضة وأن مقاديرهم مظلمة الأسرار . هب أن الانسان يعيش سبعين سنة - وهي الحد الذي أضعه لعمر البشر على الأرض - فكم عليه أن يرى في حياته مما لم يكن يريد رؤيته وكم يتحمل من آلام ويقاسي؟ وإذا أكمل السبعين . فقد عاش خمسة وعشرين الف يوم ومائتين ، هذا دون حساب للشهر الزائد . فإذا أضفت شهرا لكل سنتين ، حتى تتواءم فصول السنة مع بعضها ، فلقد قدرت على مدى السبعين سنة وخمسة وثلاثين شهرا زائدا . ومن الأيام على قدر السنوات السبعين كانت ستة وعشرين ألفا ومائتين وخمسين يوما ، ليس فيها يوم واحد يشبه سواه . هكذا ترى يا كرويزوس أن حياة الانسان مصادفة بحتة - وها أنتذا ملك غني واسع الثراء ، تتحكم في بشر لا يحصيهم عدّ . لكن سؤالك إن كنت سعيدا لا أملك عنه الآن جوابا ، لا أملك هذا حتى اسمع انك انهيت حياتك خير نهاية ، فليس الغنى الفاحش بأسعد ممن لا يجد سوى قوت يومه ، إلا أن يواتيه الحظ

فينتهي أجله وهو ممتع بأملكه وجميع خيراته . ما أكثر الاغنياء
الأشقياء وما أكثر الراضين بنصيبهم القليل ، فالغني الذي يشعر
رغم غناه أنه تعس وشقي يتقدم خطوتين على المغتبط بحظه
الطيب ، أما هذا فيتقدم على الغني خطوات وخطوات . والأول
يمكنه أن يحقق الرغبة التي تعتمل في نفسه ، وتحمل الأذى الذي
يصيبه أما الثاني فلا يسعه أن يطمع فيما يطمع فيه الأول أو يتحمل
ما يتحمل ، فقدرة الطيب قد أغناه عن الطمع ووقاه الأذى
والضرر ، أضف إلى هذا أنه لا يشكو ضعفا ولا علة ولا ألما ، وأن
الحظ باركه بالبين وجهه بالجمال ، فإذا حسنت خاتمته وأنهى حياته
نهاية جميلة ، فهو الذي تبحث عنه أيها الملك ويستحق أن يوصف
بأنه سعيد . وعلينا أن نحترس فلا نقول عنه أثناء حياته وقبل موته
إنه سعيد ، بل يجب أن نكتفي بقولنا أنه طيب الحظ . من المستحيل
على الانسان الواحد أن يملك كل شيء ، ومن المتعذر على أي بلد أن
يكفي نفسه من كل شيء ، فلديه شيء وعليه أن يحصل من بلد آخر
على شيء وكلما زاد نصيبه مما لديه كان هذا أفضل . ويصدق الأمر
نفسه على الفرد الواحد . فهو لا يكفي نفسه بنفسه ، وهو يملك شيئا
ويفتقر الى شيء آخر أما من كان لديه ما يكفيه حتى آخر عمره ثم
ختم حياته ختاماً حسناً فذلك ، يا مولاي ، هو الذي يستحق أن
يوصف بأنه إنسان سعيد ، يجب علينا أن ننظر إلى نهاية كل شيء ،
فما أكثر الذين منحهم الاله شيئا من السعادة ثم غير أحوالهم رأسا
على عقب . . هكذا ختمت حديثي للملك . .

المؤرخ

: ولم يعجبه كلامك ولا رضي عنك . .

صولون

: قاطعني ولم يكثرث بوجودي ولا ببقائي أورشليم . اقتنع بأني أحمق ،

وأن الأحمق من يتخلى عما بين يديه وينظر في نهاية كل شيء^(١١) . .

المؤرخ

: وليته نظر في نهايته هو . .

الحكماء

: بل ليته حاول أن يفكر فيما قاله عزيزنا صولون . لقد تجهّم وجهه وارتبّدت ملامحه بسحابة سوداء كثيفة أطبقت عليها وحولته إلى وحش كاسر . نظر إلى زميلنا «بياس» والشرر يتقد من عينيه الغاضبتين وسأله :

كرويزوس

: هل هذا رأيك أيضا؟ اتعتقد أن صاحبك قد أجاب بالحق؟ . .

بياس

: بالحق والعدل أجاب يامولاي ، لقد اراد أن يرى الكنوز التي في نفسك فلم يجد إلا الكنوز التي في يدك . .

كرويزوس

: أترد علي مثله بالألغاز؟ أريد منك جوابا قاطعا : ماذا يقصد بكلامه؟ . .

بياس

: أن البشر تسعدهم كنوز النفس لا كنوز الذهب والفضة . .

كرويزوس

: اذا كنتم لا تقدرون السعادة ولا الثروة الحقيقية بما أملكه من كنوز ، الا ترون أن عندي من الأصدقاء والأنصار أضعاف ما عند أي ملك أو حاكم آخر؟ هذا واحد منهم جاء إليّ من أثينا . أيها العبيد! أحضروا الكميون . .

الحكماء

: وفجأة فتحت الأبواب وظهر إنسان عجيب وسط عدد من الحراس والعبيد ، كان يبدو ناثع العينين رائّع البصر . وبدا عليه الاضطراب وكأنه قد عجز عن السير خطوة واحدة . فقد انتفخ ثوبه الواسع بصورة مذهلة كأنه بطن امرأة أوشكت على الوضع ، وعندما دفعه الحراس وشدوه قريبا من الملك ، وقعت أبصارنا على شعره الذي حشاه بسبائك الذهب ، بل لقد تعجبنا من انتفاخ أوداجه وأدركنا انه حشا فمه بقطع ذهبية صغيرة سقطت إحداها على الارض عندما حاول أن يسعل . وهلل الملك وصاح وهو يتلوّى من الضحك :

كرويزوس

: قل لهم يا الكميون! ألسنت اسعد إنسان؟ ألم تصبح أنت ايضا أسعد إنسان بعد أن سمحت لك بزيارة كنوزي وأخذت ما تستطيع أخذه منها؟ . . الا يكفي هذا الذهب الذي حملته في ثيابك ودفتته في

طيات جسدك وحشوت به فمك أن يجعلك سعيدا؟ أم أن المفلسين والجوعى أسعد منك وأحكم؟ .. حاول ألكميون أن يضحك فسقطت قطع الذهب من فمه ورنّت على الأرض . وازداد ضحك الملك فقلنا له :

الحكماء : العقل هو أعظم الكنوز . والسعيد من يبقى سعيدا إلى النهاية . .

المؤرخ : نعم . . نعم . . إليت الملك فكر عندئذ في نهايته . .

الحكماء : تكلم . . ماذا حدث له ؟ . .

المؤرخ : تمضي الايام فيغزو قورش الثاني ملك الفرس مدينة سارديس

عاصمة المملكة الليدية ، ويأسر كرويزوس بعد أن حكم أربعة عشر

عاما وحوصرت عاصمة ملكه اربعة عشر يوما^(١٢) . ويحضره الجنود

مقيدا في الأغلال فيمثل بين يدي الملك الذي أمر بتجهيز المحرقة

ووضع الأسير عليها مع سبعة من شباب الليديين . ربما قصد قورش

من وراء ذلك أن يقدمهم قربانا للالهة ، أو يفي بوعده قطعه على

نفسه . وربما بلغه أن كرويزوس كان ورعا تقيا ، فأراد باحراقه حيا

أن يختبر قدرة إلهه على انقاذه . مهما يكن الامر فقد أصدر قورش

أمره ، فلما أن وقف الملك المسكين على المحرقة خطر على باله وهو في

محتته ما قاله له صولون : ما من حيّ يمكن أن يوصف بأنه سعيد .

وانكشفت له الحجب فتأوه بعد صمت طويل وهتف ثلاث مرات :

صولون ! صولون ! صولون ! سمع قورش صيحته فطلب من

الترجمين أن يسألوه عن الاسم الذي استغاث به . وتقدم منه

الترجمون وسألوه فلأذا بالصمت طويلا قبل أن يقول : « هو إنسان

كان حديثه أقيم من كل ما ملك جميع الطغاة من ثروات عظيمة » .

بدا لهم القول لغزا فألحوا عليه بالسؤال عما يقصد . وبدا الملك

المنكوب يروي عليهم كيف حضر اليه صولون الأثيني . .

كرويزوس : ها أنت قد رأيت كنوزي . . ما رأيك يا صولون ؟ . .

- صولون : رأيي؟ في أي شيء يامولاي؟ .
- كرويزوس : هل آمنت بأني أسعد إنسان؟ .
- صولون : ربما تكون سعيدا والحظ الطيب يرفعك . لكنك لست بأسعد إنسان .
- كرويزوس : ومن في رأيك أسعد إنسان؟ .
- صولون : هو من بقي سعيدا حتى آخر عمره . قبل حلول الأجل بلحظات يمكن أن ينقلب الحال ويصبح أشقى الناس .
- كرويزوس : غضبت عليه وصحت : يالك من إغريقي فظ ، اتضنّ عليّ بالسعادة بعد كل ما رأيت من كنوزي وأملاكي! .
- صولون : ستكون سعيدا لو حضرك الموت وهي ملك يميناك .
- كرويزوس : وها أنذا أذكره الآن وأذكر ما قال . أتذكر حكايته عن الأب الذي سعد برؤية ابنائه والموت في سبيل وطنه ، وعن الولدين اللذين جرا العربة التي حملت أمهما إلى المعبد بدلا من الثيران ، ثم ماتا راضيين بعد أن أدت الصلاة . إن كلمات هذا الأثيني لم تصدق عليّ وحدي ، أعرف الآن أنها تصدق على كل إنسان ، خصوصا من زينت له الأوهام أنه أسعد السعداء .
- المؤرخ : استمع قورش إلى حديث كرويزوس . كان الملك الأسير يقف صلبا متجلدا فوق المحرقة والنيان تثر حواليه وتطلق شررها عليه ، وتفكر قورش في ما قاله المترجمون . وحدثته نفسه قائلة : حقا إن كلمات الملك المنكوب لا تنطبق عليه وحده . ها أنذا إنسان مثله ، أحسب نفسي منتصرا أو سعيدا . أسلم للنار إنسانا لم يكن أقل مني سعادة ، من يدري؟ هل تقتص الأقدار مني؟ من يضمن أن لا يحدث لي ما يحدث له؟ آه! من يضمن شيئا في هذا العالم؟ لا شيء أكيد فيه ، لا أمان للحياة! ونظرا إلى الملك الذي التفت حوله النيران فأمر بأن تطفأ على الفور وينزل هو ومن معه من فوق المحرقة .

وحاول الجنود أن ينفذوا أمر الملك، لكنهم عجزوا عن السيطرة على النار. ولاحظ كرويزوس أن الملك غير رأيه. وأن الخدم والحشم يكافحون النار ولا يستطيعون إطفاءها فاستغاث بأبوللو وهو يصرخ: إن كنت تذكر تضحياتي وهداياي إليك، إن كنت قد استطعت أن أرضيك، فاذكريني في محنتي وخفف عني الويل. أَلطف بي يارب النور الساطع واكشف عني ضنك الليل. وبكى كرويزوس كما لم يبك في حياته، وابتهل وتمتم بالدعوات وسالت أنهار دموعه، ورفع بصره إلى السماء الصافية فوجدها تتلبد فجأة بالسحب المظلمة. وخطف البصر بريق البرق، وانهمر المطر سيولا أطفأت النار. كان قورش ورجاله يتابعون المشهد وهو يحسبون الأنفاس. وعرف الملك الجبار أن إهاب الملك المنكوب يشف عن انسان طيب. وصاح بالرجال أن يعجلوا بانزاله من فوق المحرقة. وقربه منه وسأله وهو يشد على يده: كرويزوس. من حرصك على محاربة بلادي ومعاداتي بدلا من أن تكون صاحبي وصديقي؟. قال كرويزوس: أيها الملك.. فعلت هذا لما حالفك الحظ وخاصمني والذنب في هذا هو ذنب اله الاغريق الذي دفعني إلى الحرب. وليس يفضل الحرب على السلام الا الأخرق والأحمق.. ففي ظل السلام يدفن الأبناء آباءهم، أما في الحرب فيواري الآباء أبناءهم التراب. لكن الالهة اختارت.. شاءت هذا ومشيتها كانت.. هكذا قال. ومد قورش يده ففك قيوده وأجلسه بجانبه وأظهر له المودة والهيبه والكرامة، وتطلع اليه الملك والحاضرون بإجلال وإعجاب..

الحكماء

: لا تقل إنك سعيد ما دمت حيا.. والانسان لا يأمن ما تأتي به الحياة قبل لحظات من مفارقة الحياة..

المؤرخ

: لم يستجب الطاغية الشرقي لحكمتمكم بل ثار عليكم واتهمكم بالحق، وربما يكون قد طردكم من قصره وملكته. وتفرقتم يا حكمائي السبعة ورجع كل منكم إلى بلده. لكن هل سكت عنكم الطغيان؟ وهل خلت بلادكم من الطغاة والمستبدين؟ تكلم يا صولون!..

صولون

: لا تنكأ جرحي يا ولدي ..

المؤرخ

: كيف واجهت العاصفة والبركان؟ ماذا فعلت حكمتك أمام الطغيان؟ هل لجأت إلى جدار يحميك، أم نفيت نفسك بنفسك، أم نفاك الطاغية من أثينا؟ ..

صولون

: بيزيستراتوس؟ نعم .. نعم .. لقد انتزع السلطة لنفسه وأقام حكمه المطلق. لم يقف في وجهه أحد ممن كنت أتوقع أن يقاوم استبداده. أما التشريع الذي وضعته لإصلاح أمور أثينا فلم يمسه، ولكنه تركه يبدو وكأنه أضربها بدلا من أن ينفعها ويقر السلام بين أبنائها المتصارعين. وتركت أثينا ورحلت أثقل بين البلاد ..

المؤرخ

: تتنقل وحدك؟ ..

صولون

: لم أكن وحدي أبدا .. فالحكماء دائما معي .. ومن لم أستطع زيارته كتبت إليه وتشاورت معه (١٣) ..

المؤرخ

: وهل رد عليك أحد؟ ..

صولون

: لم يكتفوا بالرد بل دعوني للاقامة معهم، أو عرضوا الحضور إليّ والاقامة معي. لا لم أكن وحدي أبدا .. كان معي طاليس وبياس وكليوبوليس و ..

المؤرخ

: نريد أن نسمع ما قلته في رسائلك. فبمن تبدأ؟ ..

صولون

: أبدأ بالكاهن الذي خلص أثينا من لعنة الطاعون.

المؤرخ

: إيميئيدس؟ الكاهن الكريتي؟ ..

صولون

: نعم .. فقد كان أول من كتبت إليه ..

المؤرخ

: وبدأت بقولك أن القوانين التي شرعتها للأثينيين لم تستطع أن

تساعدهم كثيرا، كما لم يستطع هو نفسه أن يساعدكم برفع اللعنة عنهم، فالشرايع والطقوس لا قيمة لها في ذاتها، لأنها تستمد قيمتها من الحاكم الذي يطبقها، فإن صادفت الحاكم السيء انعدمت فائدتها. ولم تكن القوانين والنظم التي وضعتها لتشد عن ذلك. بيد أن المسؤولين قد أضروا بالصالح العام للمدينة حين تقاعسوا عن الوقوف في وجه بيزيسترأتوس الذي استبد بالسلطة.

صولون

: وأسفاه! لم يصدق أحد نبوءتي، وثق الأثينيون بنفاقه لهم ولم يثقوا بحقيقتي ..

المؤرخ

: وذهبت إلى القاعة التي تجمع فيها القواد وألقيت بأسلحتك أمام الباب وقلت:

صولون

: إنني أحكم من أولئك الذين لم يلاحظوا أن بيزايسترأتوس قد صمم على أن يكون طاغية. وأشجع من أولئك الذين ترددوا عن مقاومته، خرج القواد وهم يلوحون في وجهي قائلين: إنك أحمق يا صولون. قلت محتجا: يا وطني. أنا صولون، على استعداد لحمايتك بالكلمة والفعل - ومع ذلك فهم يعتبروني مجنونا. ولهذا سأغادر بلدي وأنا الخصم الوحيد لبيزيسترأتوس. عليهم ان شاءوا أن يجعلوا أنفسهم حرسه الخاص أما أنا فلن أبقى ..

المؤرخ

: وهل فعلوا هذا يا صولون؟ ..

صولون

: لقد استغل دهاءه في التغرير بهم والاستبداد بالسلطة. ابتداء بتمثيل دور القائد والزعيم، ثم جرح نفسه وذهب إلى قاعة المحكمة وهو يصرخ مؤكدا أن خصومه قد اعتدوا عليه، وأن على المجلس أن يعين له أربعائة حارس شاب، ورفعت صوتي معترضا ولكنهم لم

يستمعوا إليّ، بل وافقوا بالاجماع على تعيين الحراس، وكان أن ألغى الديمقراطية، واستعبد الفقراء الذين حررتهم أنا من الديون والسخرة. وضاعت جهودي هباء، فهم الآن عبيد فرد واحد اسمه بيزيسترأتوس.

المؤرخ : ومرت الأيام واستقر حكمه الفردي المطلق وجاءك رد صديقك الذي حاول أن يعزيك ويحيى الأمل في نفسك. .

إيمينيديس : صبرا يا صديق! لو كان بيزيسترأتوس قد وجه ضربته للأثنيين وهم لا يزالون عبيدا وقبل أن يعرفوا القوانين الصالحة لأمكنه أن يقبض على السلطة ويحتفظ بها عن طريق استعباد المواطنين. لكنه الآن يحكم في عبيد، فالرجال الذين يحكمهم يتفكرون في تحذيرك يا صولون وهم خجلون متألون. . أنهم لا يتحملون الطغيان، لأن من المستحيل على من عرف الحرية في ظل أفضل القوانين أن يرضى بالعبودية أو يحيا حياة العبيد. .

المؤرخ : ويشفق عليك الصديق من مشقة التجوال والترحال فيقول :
إيمينيديس : لا تنتقل بين البلاد. : تعالى إلينا هنا في كريت. ستحيا معنا في أمان ولن تحتاج إلى الخوف من سيد مطلق، أما إن أصررت على أسفارك فأخشى أن يلقاك أنصاره ويصيبك مكروه. .

المؤرخ : لم تكن هذه هي الدعوة الوحيدة. فلم يكد طاليس يسمع عن عزمك على ترك أثينا حتى دعاك إلى الحضور إلى ملطية حيث تعيش وسط أهلِكَ الذين سبقوك إلى تعمير هذه المدينة. .

طاليس : يمكنك أن تعيش هنا مطمئنا بلا خوف. . وإذا كان يؤلِّك أن يكون الحاكم هنا طاغية - فأنا أعلم مدى كرهك لجميع الطغاة - فسوف يسعدك أن تعيش هنا مع أصدقائك. لقد بلغني أيضا أن بياس قد دعاك للذهاب إلى بريينه، فإن آثرت الإقامة في هذه المدينة فسوف أنتقل إليها. .

المؤرخ : وتنافس الأصدقاء في الوقوف بجانبك . .
صولون : نعم . . كان لي أصدقاء عديدون، في كل مكان كنت أشعر بأنني في بيتي . .

المؤرخ : وهذا ما كتبه لك كليوبوليس . ثم أضاف قوله :
كليوبوليس : اعتقد أن ليندوس الديمقراطية ستكون أحب مكان إلى قلب صولون، فالجزيرة تقع على البحر، من سكنها فهو آمن من شر بيزيستراتوس، وسوف يحج إليك الأصدقاء من كل ناحية . .

المؤرخ : وعزّ على الطاغية أن يشهر به في كل مكان، وأن يقف مكتوف اليدين أمام الخصم الذي خدم مدينته وأجمع الناس على اجلاله، وتسابقت المدن على الترحيب به، ولهذا أسرع بالكتابة إليك وراح يدافع عن حكمه ويبرر استبداده . .

صولون : ويلح كذلك في عودتي إلى الوطن . .

المؤرخ : فلنقرأ رسالته العجيبة . .

بيزايستراتوس : لست أنا الاغريقي الوحيد الذي استبد بالحكم الفردي المطلق، ثم أنه وصل إلي لأنني انحدر من نسل كودروس^(١٤). هكذا أكون قد استرددت ما تعهد به الأثينيون لكودروس وذريته وأن كانوا مع ذلك قد عادوا فسلبوه إياه. أضف الى هذا أنني برىء من الذنوب في حق الالهة والبشر، وكما شرعت للأثينيين قوانينهم، فسوف أترك حياتهم تسير بمقتضاها. وبهذا يحكمون حكما أفضل من الديمقراطية، ذلك أنني لن اسمح بأي تعدّد على الحدود المرعية، كما أنني لا أستأثر لنفسي بأي شرف أو تكريم باستثناء ما كان يتمتع به الملوك السابقون. وقد فرضت علي كل أثيني أن يسدّد العشور عن أرضه، لا لكي أخذها منه، بلى لكي تحصلها الخزانة للاتفاق على القرابين العامة وغيرها من أوجه الاتفاق كما في حالة الحرب.
إنني لا ألومك لأنك كشفت عن خطتي، إذ فعلت هذا عن حب

للدولة أكثر مما فعلته عن كراهية لي، ثم لأنك لم تكن تعلم أي نوع من الحكم سوف أقيمه، ولو علمته فلربما رضيت به ولم تهاجر. ارجع إذا إلى وطنك وثق بي، حتى بغير أن أقسم لك قسما واضحا بأنه لن يصيب صولون أي مكروه من بيزايستراتوس، واعلم أنني لم أنل أي واحد من أعدائي بأذى، فإن شئت أن تكون أحد أصدقائي، فسوف تكون أولهم في المكانة عندي، فأنا لا أجد فيك خيانة ولا خداعا، وأني لأضمن لك أن تحيا في أثينا أي حياة ترضاها، ولست أحب أن تفقد وطنك بسببي ..

المؤرخ : ثقة بالنفس لم نعهد لها في طاغية ..
صولون : ولهذا قابلتها بثقة لا تقل عنها .. ثقة الحكمة في نفسها .. مهما كانت عزلاء ومنفية ..

المؤرخ : وكتبت إليه ولم تخش غضبه ..
صولون : بل وعملت على إشعال وقوده .. أعتقد أنه لن يصيبني منك شر، لقد كنت صديقك قبل أن تنفرد بالسلطة وتصبح طاغية، ولست الآن بأكثر عداء لك من أي أثيني آخر لا يعجبه حكم الطغيان .. وسواء أكان الأفضل لهم أن يحكمهم فرد واحد أم أن يعيشوا في ظل الحكم الديمقراطي، فسوف نترك تقدير ذلك لكل منا حسب علمه. أني لأعترف بأنك أفضل الطغاة جميعا .. أما أن أعود إلى أثينا فلن أستحسن ذلك أبدا. لقد منحت المساواة للأثينيين دون تفرقة، وكان في إمكاني أن أصبح طاغية، لكنني أبيت ذلك على نفسي، وسوف يوجه إليّ اللوم لو رجعت إلى وطني وقبلت ما تفعله ..

المؤرخ : مبلغ علمي أنك لم ترجع إليه ولم تقبل ما فعله ..
صولون : وفضلت أن أبقى غريبا أغير بلدا ببلد، وألقى صديقا بعد صديق ..

المؤرخ : ومع ذلك التقيت في مأدبة الحكماء السبعة ..

صولون : مآدبة واحدة؟ هل أنت بخيل كالتاريخ؟ ..
 المؤرخ : كانت في دلف أو في قصر كرويزوس ..
 صولون : أو أي مكان آخر .. المهم أننا التقينا .. وشربنا .. وغنينا ..
 المؤرخ : وتباريتم وتنافستم ..
 صولون : حقاً؟ من أكثرنا شرباً أو أكثرنا جلداً أو صبراً ..
 المؤرخ : بل من أحكمكم يا حكماء ..
 صولون : عجباً .. ولمن سيكون الحكم؟ ..
 المؤرخ : لفتى مجهول يبحث عنكم .. ويفتش في كل مكان عن كلمات
 صدرت منكم .. حتى تهديه الريح اليكم .. ويقدم أعجب شيء
 عثر عليه الصيادون ..

٥

المؤرخ : في أركاديا، جنة الرعاة والرعويين، كان العجوز باثيكليس يرقد
 على فراش الموت منذ شهور. واشتد عليه المرض ففتح عينيه
 بصعوبة واتكأ على ذراعه واسرع اليه الخادم الذي يسهر على
 راحته وهمس له :
 الخادم : هل تطلب شيئاً يا مولاي؟ ..
 باثيكليس : تعرف ما أطلب . ألم يصل منهم أحد؟ ..
 الخادم : لا بد أنهم في الطريق .. أصبر قليلاً ..
 باثيكليس : وهل يصبر علي؟ لقد رأيته الآن في نومي ..
 الخادم : من؟ أبنك أمفالكيس؟ ..
 باثيكليس : بل خارون يا غبي .. يقف وسط النهر العكر الكسول ويشير إليّ
 ويمد ذراعيه لكي يحملني على عنقه ويعبر بي إلى بيت الظلال ..
 الخادم : انتظر ياسيدي ، .. انتظر أنت أيضاً يا خارون . ربما يكون
 الطارق ... (يسمع طرق شديد على الباب) ..

- بائيكليش : افتح .. افتح .. ليته يأتي الآن .. ليته يأتي الآن ..
- الخادم : (وهو يفتح الباب) : سيدي .. تنتظر واحدا .. وهامهم ثلاثة !
مرحبا .. مرحبا ..
- بائيكليش : أولادي ! ..
- المؤرخ : ويسرع الأولاد الثلاثة بالدخول ، ويعانقهم الأب فيلبلون خديه
ويبلل خدودهم بدموعه ، ويقولون بين الضحك والبكاء :
- الولد الأكبر : تفرقنا في البلاد ثم التقينا . وجمعنا ما أستطعنا جمعه من حكم
الحكماء السبعة .
- الولد الأصغر : وقدرت «توخيه» إلهة الحظ والنصيب أن نجدك يا أبي ..
- الأب : وأنا في آخر أنفاسي .. هيا اسمعوني يا أولادي . فخير ما يغمض
عليه المرء عينيه وأذنيه هو الحكمة ..
- الولد الأكبر : بل حكم لا حصر لها يا أبتني ..
- الولد الأصغر : يحفظها الشعب ويذكرها في كل مكان ..
- الولد الأوسط : باركها الأب لأبنائه .. أنفس كنت يمكن أن يوصي به ..
- الأب : عندي كنت آخر أوصي به ..
- الولد الأكبر : المزرعة وحق زيوس ! ..
- الولد الأصغر : بل معصرة الزيت ! ..
- الأب : شيء آخر .. هو في مخبئه الآن ..
- الولد الأكبر : ومتى تظهره ؟ ..
- الولد الأصغر : ولئن توصي به ؟ ..
- الأب : لأحكم رجل حاز كنوز الحكمة ..
- الولد الأكبر : هل هو أحد منا ؟ ..
- الولد الأصغر : ماذا قلت ؟ نحن جمعنا حكم الحكماء ولسنا بالحكماء ...
- الأب : فلنسمعها الآن .. ولأحكمهم سيكون الكثر ..
- الولد الأكبر : أنا أحمله له ..

- الولد الأصغر : مهما بعد مكانه . . سأسافر له . .
- الولد الأوسط : وأنا أبذل عمري الباقي بحثاً عنه . .
- الأب : القاضي يسمع قبل صدور الحكم . . قل يا ولدي :
- الولد الأكبر : هذه هي الحكم التي قالها كليوبوليس من لندوس في جزيرة رودوس : الحد هو الأفضل - على المرء أن يكرم أباه - كن صحيح الجسد والنفس . استمع كثيراً وتكلم قليلاً - انصح مواطنيك خير نصيحة - تحكم في اللذة - لا تلجأ في علمك للعنف - ليكن عدو الشعب عدوك - لا تتشاجر مع زوجك ولا تبالغ في الغرور والتكبر عليها أمام الآخرين، ففي الحالة الأولى يعدك الناس أحمق، وفي الحالة الثانية يعتبرونك مجنوناً . لا تضرب العبيد في مجلس الشراب حتى لا يحسبك الناس سكران - تزوج من طبقة تناسب طبقتك، لأنك إن تزوجت من طبقة أعلى منك كسبت سادة عليك لا أقارب لك - لا تضحك مع من يهزأ بغيرك لأن من وقع عليه الهزء سيكرهك - إن حالفك الحظ فلا تغتر بنفسك وإن أصابك الشقاء فلا تكن وضعياً .
- الأب : ألم تجمع شيئاً آخر يا ولدي ؟ <http://Archive.org>
- الولد الأكبر : بلى يا أبي - هذه هي الحكم التي يتناقلها الناس عن خيلون . .
- الأب : ابن «داما جيتوس» - وفخر «لاكيمدايمون» في اسبرطة . .
- الولد الأكبر : إعرف نفسك . .
- الولد الأوسط : سمعناها عن طاليس وصولون . .
- الأب : استمر يا ولدي . .
- الولد الأكبر : لا تثرثر مع الشراب حتى لا تندم - أبطىء في الذهاب إلى أعياد أصدقائك، وسارع إليهم إذا حل بهم مكروه - لا تسرف في الانفاق على حفلات العرس - إثن على الأموات - كرم كبار السن - خذ الخسارة مأخذ الكسب السيء، لأن الخسارة تؤلم

مرة واحدة، أما الكسب السيئ - غير المشروع - فيؤلم أبدا - لا
تضحك على انسان سيئ الحظ - لا تجعل لسانك يسبق عقلك -
تحكم في غضبك - لا تسع إلى مستحيل - لا تسرع في السير على
الطريق لتسبق غيرك - لا تحرك يدك مع الكلام حتى لا تبدو
كالمجنون - أطع القوانين - تسامح مع الظلم وتوق شر
الوقاحة ..

- الأب : ما أحكمه من قائل .. وانت يا ولدي ..
الولد الأصغر : أنا جمعت ما يتناقله الناس على ألسنة الطغاة ..
الأب : الطغاة .. ربما يحذروننا من أنفسهم ..
الولد الأصغر : لم يكن كل ما فعلوه شرا ولا ظلما .. فالطاغية في لساننا هو
الحاكم الفرد ..
الولد الأوسط : وهل تنتظر الخير من المستبد بحكمه؟ .. هل تنتظر الحكمة ..
الأب : فلنسمع يا ولدي قبل الحكم عليهم ..
الولد الأصغر : هذا هو ما أثير عن العادل بيتاكوس ..
الأب : ابن هيراس ، حاكم ميتيلينه في جزيرة لسبوس ..
الولد الأصغر : اعرف قيمة اللحظة - لا تتكلم عما تنوي فعله ، لأنك ان لم توفق
فيه جعلت نفسك أضحوكة - لا تفعل ما تأخذه على جارك -
سلم ما عهد به إليك - لا تتكلم بالشر عن صديقك ولا بالخير
عن عدوك حتى لا تتناقض مع نفسك - الأرض أمان والبحر لا
أمان له - الكسب لا يشبع ..
الأب : كلمات لا تصدر إلا عن طاغية عادل ..
الولد الأوسط : طاغية عادل؟ ما هذا يا أبي؟ ..
الأب : هو ما تشهد به حياته وعمله يا ولدي .. استمر يا بني ..
الولد الأصغر : وهذا ما توصلت إليه من حكم بياس ..
الأب : نعم .. نعم .. ابن تويتاميديس ، حاكم بريينه ..

- الولد الأصغر : معظم الناس أشرار - أنظر في المرأة . .
- الولد الأوسط : لابد أنه نظر في المرأة قبل أن يقول هذا . .
- الأب : صبرا يا أمفالكي . .
- الولد الأصغر : انظر إلى المرأة : إن رأيت نفسك جميلا فعليك أن تفعل الجميل ، وإن بدوت قبيحا فعليك أن تعوض نقص الطبيعة بجمال الطبع ونبله - أعمل بتأن ، أما ما بدأت من عمل فعليك أن تمضي فيه - لا تكن طيب النية ولا سيء الطوية ، قل عن الآلهة أنهم موجودون - استمع كثيرا - تكلم في الوقت المناسب - إذا كنت فقيرا فلا توجه اللوم لغني ، إلا أن تكون قد نفعت الناس بعمل عظيم - لا تنن على عديم القيمة بسبب ثرائه - إكسب بالاقناع لا بالقوة - ما تقدم من خير فأرجع الفضل فيه للآلهة لا لنفسك . .
- الأب : حقا . . حكم لا تصدر إلا عن طاغية عادل . .
- الولد الأوسط : هو أيضا يا أبي؟ . .
- الأب : لا تجادل أباك وهو في آخر أنفاسه . . والطاغية الثالث؟ . .
- الولد الأوسط : من لا يمكن أن يوصف بالعدل . . اليس هو بيرياندر؟ . .
- الولد الأصغر : هو من قلت . . طاغية كورنثة . بيرياندر ابن كيسيلوس . .
- الأب : اسرع يا ولدي (يسعل سعالا شديدا) . .
- الولد الأصغر : إشرب يا أبي . . اشرب . .
- الأب : شكرا يا ولدي . . (يشرب) ماء الحكمة يروى أفضل . .
- الولد الأصغر : هكذا قال بيرياندر : كل شيء يرجع للمران - السكنية شيء جميل - التهور خطر - الديمقراطية أفضل من الطغيان . .
- الولد الأوسط : أشك في هذا القول أو لعله قاله وهو على فراش . .
- الأب : ربما يا ولدي . . استمر . .
- الولد الأصغر : اللذات فانية ، والفضائل خالدة - إن واثاك الحظ فكن معتدلا ، وإن أصابك سوء الحظ فكن عاقلا حكيما - كن جديرا بأبويك -

التمس الثناء في حياتك ، والجزاء بعد موتك - لا تغير معاملتك للأصدقاء ، سواء كانوا في النعماء أو الضراء - لا تثرثر بالأسرار - راع في غضبك أن ترتد عنه بسرعة إلى المودة والصدقة - تمسك بالقوانين القديمة ، ولكن تمسك كذلك بالأطعمة الطازجة - لا تكتف بمعاينة الاثم بل امنع كذلك النية والقصد الدافعين إليه - إذا أصابك سوء الحظ فأخف نفسك حتى لا تشمت فيك أعداءك ..

الأب : حكم رائعة .. وانت يا أمفالكيس .. ماذا تحمل يا ولدي؟ ..

الولد الأوسط : أحمل كنز الحكماء الحق ..

الأب : التهور خطري يا بني .. الم تسمع الآن؟ ..

الولد الأوسط : طاليس وصولون شيء آخر .. والحكم المنسوبة لهما ..

الأب : فلنبداً بالشاعر والمصلح لنظام أثينا ..

الولد الأوسط : أمفالكيس يقرأ حكم صولون : لا تبالي في شيء ..

الولد الأكبر والاصغر : سمعت؟ ..

الأب (ضاحكا) : واصل يا صولون ..
http://Archivebeta.Sakirrit.com

أمفالكيس : لا تجلس للقضاء ، حتى تصبح عدوا للمحكوم عليه - اهرب

من اللذة التي تلذ الألم - حافظ على مروءتك أكثر مما تحافظ على

قسمك - اختتم كلماتك بالصمت ، واختتم صمتك باللمحظة

المناسبة - لا تكذب ، بل قل الحقيقة ، ابذل جهدك في أمر جاد -

لا تدع أن لديك من الحق أكثر مما لدى أبويك - لا تتسرع في

كسب الأصدقاء ، أما من لديك منهم فلا تتسرع في التخلص

منهم - تعلم كيف تطيع وسوف تتعلم كيف تحكم - حاسب

نفسك قبل أن تحاسب غيرك - لا تنصح مواطنيك بما هو ممتع بل

بما هو خير - تجنب صحبة الأشرار - لا تتكلم عن شيء لم تره -

إعلم وأسكت - كن رفيقا بأهلك - استنتج ما لا تراه مما تراه ..

الأب

أمفالكيس

: حكم تليق بالمرشح العظيم . . وماذا يقول طاليس؟ . .
: ان ضمنت غيرك حلت بك المصائب - تذكر اصدقاءك في
حضورهم وغيابهم - لاتزين مظهرك بل كن جميلا في عملك - لا
تثر عن طريق الظلم - لا تتردد عن مجاملة والديك - ما تقدم من
خير لأبويك توقعه من أبنائك في شيخوختك - من الصعب أن
يعرف الانسان نفسه - أمتع شيء أن تحصل على ما تتمنى -
الكسل عذاب - عدم التحكم في النفس مضرة - الجهل عبء
ثقل - لا تكن كسولا حتى ولو ملكك المال - أخف الشر الواقع
في بيتك - خير لك أن يحسدك الناس من أن يشفقوا عليك - إلزم
حدك - لا تثق بكل ما تلقاه (١٥) .

الأب

الولد الأصغر

الولد الأكبر

أمفالكيس

الولد الأكبر

الأب

: حكم صائبة . . حتى لو جاءت متأخرة . .

: أنت بخير يا أبي . .

: الحكمة خير دواء . .

: وخصوصا حكمة طاليس وصولون . .

: أترك الحكم لأبينا . .

: لا وقت يا أولادي . . آخر نفس يوشك أن يخرج مني . .

: استمعوا لي . . استمعوا لي . .

: تكلم يا أبي . .

الأولاد

: قبل سنين حصلت على هذا الكنز . . (يخرج شيئا من خزانة

الأب

بجواره) . .

: ما هذا؟ كأس ذهبي (١٦)؟ . .

الأولاد

: نعم يا أولادي . . كنت أتجول على شواطئ مسينا وأتسلى

الأب

بمشاهدة الصيادين . . اقتربت منهم وقلت لهم وأنا أضحك :

الصيد القادم لي . . قالوا: أيا كان الصيد ستدفع ثمنه؟ قلت :

أيا كان! القوا بالشبكة في البحر مرة ومرتين. لن تخرج سمكة

ولا حجرا، وفي المرة الثالثة رأينا شيئا يلمع في الشبكة ..

: هذا الكأس الذهبي ! ..

الأولاد

الأب

: نعم .. نعم .. وانبهر الصيادون وقالوا: لم نتفق على هذا. نحن

نصيد السمك ولا نصطاد كؤوسا ذهبية .. قلت: بل اتفقنا

وكلام الرجال قسم. قالوا وماذا تريد قلت: أريد صيدي -

قالوا: ولكنه كأس ذهبية .. قلت: ذهبي أو برونزي .. لقد

اتفقنا .. اخرجوه وانظروا فيه .. قالوا نخرجه ولكن هل تدفع

ثمنه؟ قلت: ادفع فيه ما أملك. إن آلهة الحظ قدرته لي، فهل

تمنعونه عني؟ .. تفكروا قليلا ونظروا إليّ، عرفوا اني مصمم

على الكأس مهما كان الثمن، أخرجوه من الشبكة وقلبوا فيه ثم

هتف أحدهم : تعال! اقرأ ما عليه! وتناولت الكأس بين يدي

وقرأت . كانت قد نقشت عليه هذه العبارة: لأحكم الحكماء ..

هتفت: صدقت النبوءة يا أخواني! تعجبوا قائلين: النبوءة؟

قلت: نعم! فقد شاءت الالهة أن أقدمه هدية لأحكم حكماء

اليونان. قالوا: إذا فلن تبعه؟ قلت: أبيع؟ مثل هذا الكنز لا

يباع. انه يعطى لأحكم الحكماء أو يوضع في معبد الاله ليراه كل

الأتقياء. قالوا: خذه على بركتهم. خذه واذهب! رفض

الصيادون أن يأخذوا مني شيئا .. وانصرفت بالكنز الذي

حافظت لكم عليه يا أبنائي - وهاقد جاءت اللحظة لأقدمه

لكم ..

: لنا يا أبي ..

الأولاد

: نعم .. لتسلموه لأحكم الحكماء ..

الأب

: ومن يحكم بأنه أحكم الحكماء ..

الأولاد

: الحكماء انفسهم يا أبنائي ..

الأب

: ومن يتحمل السفر اليهم؟ .. من يقدر أن يقطع أرض اليونان

الأولاد

وبحارها وجبالها بحثا عنهم؟ ..

أمفالكيس : لن نحتاج الى هذا . لقد سمعت انهم ..

الأب : نعم يا بني .. ماذا سمعت؟ ..

أمفالكيس : سمعت انهم مجتمعون في مأدبة الحكماء السبعة ..

الاصغر والاكبر : أين؟ ..

أمفالكيس : في دلفي او عند كرويزوس في ليديا ..

الأكبر : إذهب انت ..

الأصغر : سافر أنت اليهم ..

الأب : نعم يا ولدي .. سافر انت بهذا الكنز .. نفذ وصية ابيك .. أما

انت يا ولدي فتأخذ المزرعة .. وأما أنت فلك معصرة الزيت ..

خذ يا ولدي ..

المؤرخ : واقترب الابن الاوسط أمفالكيس من ابيه .. مد يده اليه ليأخذ

الكأس الذهبي من يده .. ارتعشت يد الأب وذراعه وصدره

وجسده ثم توقفت الحركة في يده وذراعه وجسده وسقط على

الفراش .. صرخ الابن : أبي .. أبي .. وبكى الولدان

الآخران .. وبعد أن جففا دموعهما وباركا أباهما قال أمفالكيس :

أمفالكيس : وداعا يا أخوتي .. كرما أبي واعد له الطقوس اللائقة .. أما أنا

فسأذهب ..

المؤرخ : قال الأخوان : ابق معنا يا أخي .. ألم تتعب من السفر؟ ..

أتظن انك ستجدهم بسهولة؟ ..

أمفالكيس : إنها وصية أبي ولا بد أن أذهب .. لا بد أن أذهب ..

المؤرخ : وتجمعون يا حكمائي السبعة في مأدبة الحكماء^(١٧) .. وتلتقون في دلف

أو في ليديا بعد لقاء الملك كرويزوس . لا نعلم شيئا بالتحديد عن

المكان ولا الزمان . لكن مادبكم كثرت في العصور المتأخرة ،

والكتب التي سجلت أحاديثكم وأوردت أغانيكم على الشراب قد

ضاع معظمها ولم يبق منها إلا القليل . ولا بد أن كاتباً مجهولاً من القرن الخامس قد ألف الكتاب الشعبي الذي دوت فيه هذه الأغاني والأحاديث . ولا بد أن الحياة السياسية والاجتماعية في هذا الزمن البعيد قد غصت بشيء من الكذب الذي يسمم اليوم حياتنا، حتى أصبح من الصعب تمييز الحق من الباطل والأصالة من الزيف . وها أنتم تقفون مع الحقيقة كما تقضي الحكمة الخالدة على من ينتسب إليها أو ينطق باسمها .

- صولون : أين الكؤوس يا أولاد؟ أين الشراب . .
بيتاكوس : انتظري يا صولون لم تأت اللحظة المناسبة . .
صولون : بل جاءت يا طاغية لسبوس العفيف . أنت وحدك الذي لا يعرف قيمتها . .
بياس : على الرغم من حكمتك المعروفة . حقاً! من الصعب أن يعرف الإنسان نفسه . .
صولون : هذا قول طاليس . ولكن ليس من الصعب أن نعرفه . طاليس! لماذا تجلس وحدك؟
طاليس : هكذا عشت دائماً، وحيداً مع نفسي^(١٨) . .
كليوبوليس : وبعيداً عن السياسة والعمل . .
طاليس : لقد ابتعدت عن السياسة لكنني لم ابتعد عن العمل . .
خيلون : أنت وحدك انصرفت للنظر في أمور الطبيعة وتأمل الافلاك . .
كليوبوليس : وغرقنا نحن جميعاً في متاعب الحكم والمحكومين . .
طاليس : اهتموني في ملطية بالفشل في حياتي وعابوا عليّ فقري ، كنت كلما مررت في الشارع أشار الناس إليّ قائلين: أنظروا إلى فقره! . . انه دليل على عمق الفلسفة! وقررت أن أثبت لهم أن الفلاسفة يمكنهم إذا شاءوا أن يجمعوا الثروة بسهولة، ولكن هذا ليس هو هدفهم . .
خيلون : وماذا فعلت يا طاليس؟ . .

طاليس : دلتني ملاحظاتي الفلكية أن محصول زيت الزيتون سيكون وفيرا، كنا في فصل الشتاء، وكان معي بعض المال. وأجرت معاصر الزيت كلها في ملطية وخيوش بثمان قليل، لأن احدا لم يتقدم بثمان أعلى منه. ولما آن الاوان، اشتد الطلب على المعاصر، فأجرتها بالثمان الذي حددته وكسبت أموالا طائلة^(١٩)..

صولون : وأثبت انك حكيم عملي..
طاليس : بل أني حكيم بعيد عن الحكم. إذ سرعان ما رجعت للنظر والتأمل^(٢٠)..

صولون : فلنشرب نخب المال والزيتون قبل أن ترجع لتأملاتك في السماء!..
خيلون : وقبل أن تجلس وحيدا مع نفسك..
صولون : لن يسمح له هذا الصبي بذلك..
كليوبوليس : أي صبي يا صولون؟..

صولون : الا تعرفونه؟ تعال يا بني.. انت تعال!..
الصبي : نعم يا عمي..
صولون : غننا يا بني شيئا. غننا كما كنت تفعل في أثينا..

الصبي : الأغاني التي تحبها؟..
صولون : نعم يا ولدي.. ولا داعي لاستئذان بيتاكوس..
بيتاكوس : يستأذني؟..

صولون : ستعرف بعد قليل.. استمع الان..
الصبي : (يرتفع صوته ببعض أغاني سافو):

الان قد غاب القمر

وكذلك الكواكب السبعة

انتصف الليل

وزمن الانتظار فات

وأنا أنام وحدي

- صولون : حقا يا ولدي زمن الانتظار فات . .
- بيتاكوس : سمعت هذا من قبل . . سمعته من قبل . .
- الصبي : كل النجوم حول القمر الجميل
تخفي وجهها المضيء من جديد
عندما يغمر البدر الناصع الارض بنوره . .
- صولون : قل هذا لطاليس . . أو انتظر . . قل لهذا الفتى . .
- الفتى : (يدخل على استحياء . . يتطلع للجميع في ذهول) . .
- صولون : أليس كذلك يا ولدي؟ تعال . . اقرب منا . .
- بيتاكوس : أين سمعت هذه الأغنية؟ متى؟ . . آه . . تذكرت . .
- صولون : تعال يا بني . . صب له كأسا يا غلام . .
- بيتاكوس : انها لسافو . . الشاعرة التي هاجمتني هي وصديقتها ألكايوس . .
ولكن شعرها . .
- صولون : استمر يا ولدي . . اسمع هذا الفتى الجميل . .
- الصبي : عندما تموت . .
يموت كل شيء . .
ما من ذكرى . .
ولا من شوق . .
سيسأل عنك . .
تذهب غير مرثي . .
إلى بيت هاديس . .
تهبط إلى الظلال . .
تتلاشى مثلها . .
تصبح عدما . .
- صولون : نعم يا ولدي . . نعم . . تصبح عدما . .
- الصبي : كما تحمر التفاحة

التفاحة الحلوة . .

على الشجرة العالية . .

على أعلى غصن . .

نسي القاطفون أن يجنوها . .

آه ! لم ينسوها . .

هم لم يستطيعوا فحسب أن يبلغوها^(٢١)

صولون : آه . . ما أجملها ! أليست جميلة يا ولدي ؟ . .

الفتى : نعم يا سيدي . .

صولون : ليتك تعلمها لي يا ولدي . .

الصبي : ولماذا يا عمي ؟ . .

صولون : أريد أن أحفظها عن ظهر قلب ثم أموت^(٢٢) . .

الفتى : مثلك لا يموت يا سيدي . . وكذلك هؤلاء الحكماء . .

صولون : ولكننا سنهبط الى بيت هاديس . .

الفتى : ستبقى حكمتكم يا مولاي . .

صولون : سمعتم يا أصدقاء . . هذا الفتى يزعم أنكم خالدون . .

خيلون : أعطوه كأسا . . وإذا شرب يغير رايه . .

الفتى : لن أغير رأيي . . لقد عشت لهذه اللحظة . . إنني أسعد إنسان . .

كليوبوليس : سألني الملك كرويزوس : من هو أسعد إنسان فوق الارض ؟ قلت :

أيها الملك . . انها الوحوش . . لأنها تموت في سبيل الحرية . . لورآك

يا بني لما سأل سؤاله . .

الفتى : كنت سأقول له : أنا أسعد إنسان يا كرويزوس . .

فقد رأيت الحكماء السبعة وسمعتهم . .

صولون : لو سمعت نصيحتي ما حكمت هذا الحكم الا في آخر ايامك . .

الفتى : ليكن هذا آخر أيامي . فأنا أسعد إنسان يا صولون . . انظروا . .

الحكماء : ما هذا ؟ ماذا تخرج من جرابك ؟ . .

- الفتى : هدية أبي إليكم .. أرسلني بها قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ..
- الحكماء : كأس ذهبي ! لنا نحن ..
- الفتى : بل للاحكم فيكم .. أنظروا ..
- صولون : حقا كتب عليه نقش ذهبي ..
- خيلون : لأحكم الحكماء ..
- بيتاكوس : كيف ستعرفه يا ولدي؟ لمن سيكون الحكم ..
- الفتى : لكم أنتم ..
- كليوبوليس : من أحكمنا؟ من؟ ..
- صولون : هذا الكأس يجيبك ..
- خيلون : ولماذا هذا الكأس؟ أجيني أنت ..
- صولون : ستعرف حين تفرغه في جوفك .. هيا يا غلمان .. كأس فارغة .. الا تحجلون؟ .. (تملأ كأسه، يرتفع صوته بالغناء بعد أن يفرغها في جوفه) ..
- اتق شر الناس ..
- وانظر للواحد منهم ..
- هل يخفي الحربة في قلبه ..
- وإذا حدثك بوجه طلق وبيان جذل ..
- فهو حديث لسانين ..
- انشقا من قلب أسود كالليل ..
- طاليس : (يتسلم الكأس من صولون) :
- كثر كلماتك لا تكشف عن عقل راجح ..
- فتخير منها الطيب ..
- والتمس الأحكم والأوفق ..
- كي لا يغرقك السيل الجامح ..
- من ألسنة الثرثارين فتغرق ..

خيلون : (يتسلم الكأس من طاليس) :

يختبر الذهب الخالص

فوق محك المعدن والحجر

أما أفكار الناس

فتوضع فوق محك الزمن ..

ليفصل فيها الخير المحض عن الشر ..

بيتاكوس : (يتسلم الكأس من خيلون) :

كن حذرا وأعد القوس مع السهم ..

حين تقاتل شريرا ..

فلسان الحاقد لا يتحرك في الفم ..

إلا ان أطلق من لب القلب سعيرا ..

يباس : (يتسلم الكأس من بيتاكوس)

كن طيبا مع الجميع وانبذ الخشونة

إذا أردت أن تقيم في المدينة ..

أما الشذوذ فهو يشعل المصائب اللعينة ..

كليوبوليس : (يتسلم الكأس من يباس) :

الجهل عميم بين الناس

وسقط الكلمات ركام ..

لكن الحدّ مع المقياس ..

يعين المرء على الايام ..

فكر في الخير ..

وعود نفسك

أن تختار الأصحاب (٢٣) ..

الحكماء للفتى : إشرَب يا فتى .. هل عرفت الآن احكم الحكماء؟ ..

(يناولونه الكأس الذهبي)

- الفتى يشرب : كلكم حكيم .. كل أغانيكم تقطر حكمة .. لكن من هو أحكمكم ، من ؟ ..
- الحكماء : يشرب .. يشرب ..
- الفتى : (يمد يده بالكأس) : لا .. لا .. أنا لا أستحق الشرب منه .. لن استحقه أبدا .. خذه يا خيلون ..
- خيلون : أنا؟؟؟ اني اعرف نفسي ..
- الفتى : أنت يا طاليس ..
- طاليس : من الصعب أن اعرف نفسي .. ولكن من السهل أن اعرف أنني لا استحقه ..
- الفتى : وانت يا صولون ..
- صولون : اعرف واسكت . ولهذا لا أتكلم ولا احرك يدي ..
- الفتى : وانت يا بياس .. الا تريد أن تأخذه ..
- بياس : يأخذه من ينسب الخير لنفسه .. اما أنا فأنسبه للآلهة ..
- الفتى : وانت يا حاكم ميتيلينه العادل؟؟
- بيتاكوس : ردّ الامانة لأهلها . هل نسيت ما قلتة؟
- الفتى : لم يبق الا برياندر .. أرجوك .. لا بد أن يأخذ أحدكم ..
- برياندر : التهور خطر ..
- الفتى : والحد هو الأفضل .. لكن ماذا أفعل؟ ..
- الحكماء : تسأل ..
- الفتى : اهنالك أحد أحكم منكم ...
- الحكماء : بل تسألنا نحن وتحكم ..
- الفتى : أسألكم .. أي سؤال أسألكم؟ ..
- الحكماء : أسألنا مثلا عن أفضل دولة؟ ..
- الفتى : حقا .. من هي أفضل دولة ..
- صولون : هي التي يتهم فيها المجرم ويعاقب من جميع أولئك الذين لم يضرهم

- بشيء، كما يتهم ويعاقب من وقع عليهم الضرر منه . .
- بياس : هي التي يخاف فيها الجميع القانون كما يخافون طاغية . .
- طاليس : هي التي تخلو من المسرفين في الثراء والمسرفين في الفقر . .
- أناخارزيس : هي التي يحترم فيها الناس كل شيء على حد سواء، ولكنهم يقيسون المزايا بمقياس الفضيلة، والعيوب بمقياس الرذيلة . .
- بيتاكوس : هي التي يستحيل فيها أن يصل الاشرار الى الحكم، كما يستحيل الا يحكم الأخيار . .
- خيلون : هي التي يغلب فيها سماع القوانين ويقل سماع الخطباء^(٢٤) . .
- الفتى : أجبتم عن أفضل دولة . . هل أسألكم الآن عن أفضل بيت؟ . .
- صولون : أفضل بيت هو الذي لا يقترن فيه كسب المال بظلم، ولا يجلب الحرص عليه سوء الظن، ولا يعقب انفاقه ندم . .
- بياس : هو الذي يسلك رب البيت في داخله ومن تلقاء نفسه مثلما يسلك خارجه بسبب القوانين . .
- طاليس : هو الذي يستطيع فيه رب البيت أن يجد الفراغ أكثر مما يجده في أي مكان آخر . .
- كليوبوليس : هو الذي يكون فيه عدد من يحبون رب البيت أكثر من عدد من يخافونه . .
- بيتاكوس : هو الذي لا يشتهي شيئاً غير ضروري ولا يحرم من شيء ضروري . .
- خيلون : هو الذي يشبه الى أقصى حد مملكة يحكمها ملك^(٢٥) . .
- الفتى : صعب . . صعب . . أن أختار الأحكم . . هل تجيبني أنت يا صولون . .
- صولون : عن أي شيء يا ولدي؟ . .
- الفتى : عن رأيك في أفضل دولة . .
- صولون : ألم أتكلم الآن؟ . .

- الفتى : نعم . . نعم . . لكنني أريد المزيد . .
- صولون : هي التي تكثر فيها الجوائز التي تمنح للفضيلة . .
- الفتى : إجابة أخرى . .
- صولون : هي التي يُكرم فيها الخيرون كما يُتقى الاشرار . .
- الفتى : وثالثة . .
- صولون : هي الدولة التي فيها يطيع المواطنون الحكام . أما الحكام فيطيعون القوانين . .
- الفتى : أحكم ما سمعت أذناي . . زدني ياصولون . .
- صولون : آخر ما عندي : هي التي يثور فيها على الظلم أولئك الذين لم يصابوا منه بسوء كما يثور عليه من أضيروا بسبه سواء بسواء^(٢٦) . .
- الفتى : وأنت يا طاليس؟ هل تظل وحدك كما قالوا عنك؟ . .
- طاليس : ألم أجب على أسئلتك يا بني . .
- الفتى : من كان في شهرتك نتوقع منه المزيد . .
- طاليس : اسأل يا بني! . .
- الفتى : ما هو أقدم الكائنات؟ . .
- طاليس : هو الاله . . لأنه لم يولد . .
- الفتى : وما أجملها؟ . .
- طاليس : العالم . . لأنه من خلق الله . .
- الفتى : وأعظمها؟ . .
- طاليس : المكان . . لأنه يستوعب كل شيء . .
- الفتى : وأحكمها؟ . .
- طاليس : الزمن . . لأن الزمن يكشف كل شيء . .
- الفتى : وأسرعها؟ . .
- طاليس : العقل . لأنه يتخلل كل شيء . .
- الفتى : وأقواها؟ . .

طالبس	: الضرورة، لأنها تحكم كل شيء ^(٢٧) .
الفتى	: (يسرع إليه ويحاول أن يناول الكأس) : رائع ! خذه أرجوك . .
طالبس	: بل يأخذه صولون . .
صولون	: لن أغير رأيي . . أعطه لخيلون . .
خيلون	: بيتاكوس أولى به . .
بيتاكوس	: بل برياندر . . هو أحكم مني . .
برياندر	: آخذه وكليوبوليس معنا؟ . .
كليوبوليس	: مدّ يدك يا بياس . .
بياس	: أناخارزيس له يدان مثلي . .
الفتى	: الكأس لأحكمكم . . اختاروا احدا منكم . .
الحكماء	: ليتك جئت ومعك باريس .
الفتى	: هذا اللص؟ سارق هيلينا؟ . .
الحكماء	: عندما نشب النزاع بين الالهات الثلاثة هيرا وأثينا وأفروديته أرسله أبوللو ليحكم من هي أكثر جمالا ويعطيها التفاحة الذهبية . .
الفتى	: الكأس إذاً من حق أبوللو . . http://Archive.Es.ch
الحكماء	: ما أحكم هذا القول! . . إنك أحكم منا يا ولدي . . هي من حق أبوللو . . فلتوضع في معبده في ثيبه أو دلفي . .
طالبس	: أو في معبده الأقدس في ديدما وقريبا من مسقط رأسي ملطية . .
الحكماء	: هو أجدر بالكأس الذهبية منا . . فهو حكيم . أما نحن فأحباب الحكمة . .
الفتى	: وأنا أحببت الحكماء السبعة أحباب الحكمة . .
الحكماء	: اذهب ونفذ وصيتنا . .
الفتى	: ووصيتك يا أبي . . فتقبلها يارب الحكمة . .
الحكماء	: وداعا . . وتقبله يارب النور أبوللو . يارب الحسن ورب الحكمة والعدل . .

- المؤرخ : بعد المأدبة يجيء المسرح . .
- الحكماء : المسرح؟ . .
- المؤرخ : نعم . . فقد مرت الايام والسنون، ومالت إلى المغيب شمس العصر القديم . . نسيكم الناس ولكن لم ينسوا حكمتكم بعد . . وها هو ذا شاعر عالم وقنصل ومربي أمراء يذكر بكم الأجيال^(٢٨)، ويقدمكم فوق المسرح أو يجعلكم تقدمون أنفسكم واحدا بعد الآخر . .
- الحكماء : نحن؟ . . نظهر على المسرح؟ . .
- المؤرخ : سموه مسرح العقل أو الخيال أو التاريخ . .
- الحكماء : وماذا نقول غير ما قلناه . .
- المؤرخ : لا تنسوا . . أوشكت الناس أن تنساكم . . ولهذا ستقفون على الخشبة ويردد كل منكم حكمته الخالدة على الأذان . .
- الحكماء : كي تنساها بعد سنين أو أجيال . .
- المؤرخ : طبع الانسان هو النسيان . . قد ينساكم أو يظهركم في شكل آخر . . قد ينسج عنكم في كل زمان أسطورة . . لكن الحكمة باقية حتى اليوم مهما احتاجت من يخرجها من ظلمات التاريخ . .
- الحكماء : أو ظلمات النسيان . .
- المؤرخ : ها هو ذا رجل لا ينسى، يظهر ليقدمكم للجمهور، كي يتذكر شعب الرومان مآثركم، كي يتعلم من حكمتكم، حتى تصبح أسلوب حياة . .
- الممثل (يتقدم على المسرح ويلقي بالتمهيد) :

«يتبع في العدد المقبل»

الهوامش

- (١) ميناء مدينة روما عند مصب نهر التير، يبدو أنه تأسس في النصف الأول من القرن الرابع ق.م.، وتسببت العواصف الرملية في ردمه وفقد أهميته بعد تأسيس ميناء أغسطس. كشفت الحفائر عن ألواح حجرية تحمل معلومات تاريخية هامة، ومن بينها ألواح نقشت عليها بعض عبارات الحكماء السبعة، ويرجح أنها كانت لتعليم التلاميذ..
- (٢) الالιάذة، التشيد الأول، ٤٠٥ وما بعده، والنشيد الثالث ١٤٦ وما بعده..
- (٣) هيرمان فرنكل، الادب والفلسفة في العصر الإغريقي المبكر، ميونيخ، دار النشر بيك، ١٩٦٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٦.
- (٤) افلاطون، محاوره طيماوس، ٢٢ب.
- (٥) أرسطو، نظام الأثنين، ٥، ١.
- (٦) راجع عن يباس: ديوجينيس اللائري في كتابه عن حياة مشاهير الفلاسفة وآرائهم، ١، ٨٤، ٨٨، وكذلك بلوتارك: المسائل الاغريقية، ٢٠ وشذرة أرسطو عن دستور ساموس (رقم ٥٧٦، روز)..
- (٧) تاريخ هيرودوت ١، ٢٣ وكذلك ٥، ٩٥ - وانظر أخبار برياندر عند أرسطو، كتاب الخطابة ١، ١٥، ١٣، ٣٧٥ب، وعند ديوجين اللائري في كتابه السابق الذكر، ١٠، ٩٩.
- (٨) الشذرة ٣٦٠ من أشعار الباقية، راجع طبعة ماكس تروى، توسكولوم، ميونيخ، ١٩٦٣.
- (٩) راجع في هذا كله ديوجينيس اللائري، المرجع السابق ١، ٣٠ - ٤٠ - ٤٢ - ١٢٢.
- (١٠) أي ما يقرب من سبعة كيلو مترات..
- (١١) راجع الحكاية كلها في تاريخ هيرودوت ١، ٢٩ - ٣٣، ٨٦ - ٨٨.
- (١٢) كانت مملكة الليديين تقع في الجزء الغربي من آسيا الصغرى، وقد أدى انهيار دولة الفريجيين حوالي سنة ٦٩٠ ق.م. إلى ظهورها على مسرح الأحداث، فحررت نفسها من سيطرة الكيمريين وأخضعت المدن الاغريقية على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، أما كرويزوس (ولعله هو قارون المذكور في القرآن الكريم والكتاب المقدس) فهو أحد الملوك الذين حكموها (من ٥٦٠ إلى ٥٤٦ ق.م. بعد جيغيس وأليائيس). وازدهر ملكهم بعد انتصارهم على الميديين، زحف قورش الثاني ملك الفرس في سنة ٥٤٧ ق.م. على المملكة وحاصر عاصمتها الرائعة سارديس وأسر كرويزوس وهياً له المحرقة ثم عفا عنه كما تروى

حكاية الحكماء السبعة، وهناك رواية أخرى تنسب إلى ألياثيس ملك الليديين أنه بعث رسولا يسأل عرافة معبد دلف: من هو أسعد انسان فوق الأرض؟ ويبدو أن الملك كان يتوقع أن يتلقى الجواب بأنه أسعد السعداء مادام يملك القوة والأبهة وكنوز الذهب والفضة بغير حساب. ولكن النبوة قالت: أسعد الناس هو أجلاوس بن بسوفيس. وبحث الملك عن هذا السعيد المجهول وأرسل جنده يفتشون عنه في كل مكان. ثم جاءه الرسل بعد أن عثروا عليه فذهل وصاح: فلاح بائس؟ رد الرسل قائلين: وهو بسيط وتقي صالح. والحكايتان تؤكدان اعتزاز الاغريقي بوعيه وحكمته وكبريائه وبساطته في مواجهة ملوك الشرق بثرائهم وأبهة قصورهم وتجبرهم.

(١٣) تقوم هذه اللوحة على ثلثي رسائل متبادلة بين عدد من الحكماء السبعة، وكانت تؤلف في العصور القديمة شكلا من أشكال الرواية التاريخية على هيئة رسائل، وقد ذكرها مؤرخ حياة مشاهير الفلاسفة، ديوجينيس اللايرسي، ووزعها على سير الفلاسفة كل على حدة. ولهذا حاولنا الجمع بينها وترتيبها على هذه الصورة التي أوردتها الأستاذ «برونسيل» في كتابه من حياة الحكماء السبعة وآرائهم. ويبدو أن الرواية الأصلية كانت أكبر وأشمل مما توحى به هذه الرسائل المتبقية، فرسالة طاليس إلى صولون تشير إلى رسالة سابقة تلقاها من بياس، كما أن المراسلات المتبادلة بين طاليس وفيريكيديس يحتمل أن تكون جزءا من رواية تاريخية أخرى. ولكن المؤكد على كل حال أنها تشير - كما تفعل الرسائل المتبادلة بين صولون وطاليس إلى الرحلات التي قام بها الحكماء السبعة والصلوات التي كانت قائمة بينهم والزيارات واللقاءات التي جمعتهم. والملاحظ أن الرسائل لا تذكر غير ستة من الحكماء، كما تستبعد الحكيمين بيرياندر وبيتاكوس اللذين كانا من الطغاة المنفردين بالسلطة، ويرجع هذا إلى الروح السائدة في هذه الرسائل التي تحمل حملة شديدة على الملكية والحكم الفردي المستبد كما تمثل في شخصية بيزيستراتوس، ولهذا كان من الطبيعي أن يستبعد الاسمان السابقان، والثابت أيضا أن هذه الرواية التاريخية ترجع للعصر الهلينيستي، ويرجح ان تكون قد نشأت في النصف الأول من القرن الثالث ق.م.، تدل على ذلك الروح الواقعية التي تغلب عليها، وربما يدل عليه أيضا أن كاتب الرواية قد استبدل بالشخصيتين اللتين استبعدهما شخصيتين آخرين معروفين بالورع والدين، وهما اييمينيدس الكاهن الكريتي الذي يقال انه خلص أثينا من وباء الطاعون وفريكيديس الذي ينسب اليه كتاب عن اللاهوت وأنساب الآلهة.

(١٤) ملك أسطوري حكم أثينا ويقال انه حاماها من هجمات الاسبرطيين وسقط دفاعا عنها. يذكر المؤرخ باوزائياس أن المثال المشهور فيدياس صنع له تمثالا في دلفي، كما يذكر أرسطو في كتابه

عن نظم الأثينيين أن الأثينيين من نسل هذا الملك، ولذلك يسمون أيضا بالكودرين..
(١٥) ترجع هذه الحكم والأمثال والعبارات المأثورة الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وبداية الاهتمام بجمع التراث بوجه عام في مجموعات مختارة. وكان من الطبيعي أن تنسب معظم هذه الأقوال والأمثال للحكماء السبعة الذين تمثل «الحكم» الجارية جوهر حكمتهم، وقد وصلت إلينا أهم هذه المجموعات المختارة تحت اسم السياسي والفيلسوف ديمتريوس الفاليريوني (من حوالي ٣٥٠ إلى ٢٨٠ ق.م.) الذي حشد في مجموعته عددا كبيرا من الأقوال والعبارات التي تغلب عليها التفاهة والضحالة بصورة واضحة. وقد أقيمت عليها حفاظا على الروح الشعبية التي تميزها من ناحية، وعلى الصورة الشعبية التي تظهر بها الحكماء السبعة من ناحية أخرى، وذلك على الرغم من الملل الذي يمكن أن تبعثه في النفس وخلو معظمها من أي حكمة حقيقية.. ولعل هذا أن يدل على أن الحكماء المشهورين كانوا قد تحولوا الى شخصيات مثالية تفتقر إلى الحياة، وراح الناس يهيلون على رؤوسهم ركام الأقوال والأمثال بلا تمييز..

(١٦) تعتمد هذه الحكاية عن «الكأس الذهبي» على أبيات من الشعر للعالم والشاعر السكندري المشهور كاليماخوس الذي عاش وكتب في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وفيها نجد شخصية العجوز الأركادي بائيكليس وقصته مع أبنائه على نحو ما أوردتها في بداية هذه اللوحة. وقد روى ديوجينيس اللايرسي الحكاية نفسها نثرا في كتابه عن سير الفلاسفة (١ - ٢٩) وأكمل بذلك الأبيات التي يقولها الشاعر السكندري على لسان روح الشاعر الاغريقي القديم هيبوناكس (حوالي ٥٤٥ ق.م.) التي صعدت من عالم «هاديس» السفلى لتسخر من علماء النحو السكندريين وتحثهم على ترك خلافاتهم العقيمة.. والمهم في رواية كاليماخوس أنه يضع الكأس الذهبي في مكان المبخرة ذات القوائم الثلاثة التي وردت في روايات شعبية ترجع الى ما قبل العصر الهلينستي، ولعل الروايتين معا أن يكونا صورة أخرى من الأسطورة القديمة عن النزاع الذي وقع بين الالهات الثلاث هيرا وأثينا وأفروديت عن أجملهن وأحقهن بالتفاحة الذهبية واحتكامهن إلى «باريس» للفصل بينهن، ولعل شخصية سقراط الذي رفض أن يصدق نبوءة دلفي المشهورة بأنه أحكم الأثينيين قد أثرت أيضا على صورة الحكماء المتواضعين..

(١٧) يبدو أن أغنيات الشراب (سكوليا) الواردة في هذه اللوحة على لسان الحكماء السبعة كانت جزءا من كتاب شعبي ضائع عن مأدبة ضمتهم في دلف أو في قصر الملك كرويزوس أو في مكان آخر لا نعلم عنه شيئا. ويبدو أيضا أن هذا الكتاب الضائع قد كان نواة لكتب المآدب

وأحاديث الفلاسفة التي توالى بعد ذلك من «مأدبة» أفلاطون المعروفة حتى مأدبة الحكماء السبعة للمؤرخ بلوتارك في أواخر العصور القديمة (عاش من حوالي ٤٦ إلى حوالي ١١٩ ميلادية). والمهم أن الأغاني التي تضمها هذه اللوحة تدور حول اللغة التي يمكن أن تعبر عن أحاسيس البشر تعبيراً صادقاً كما يمكن أن تستخدم للغش والخداع وللتنمويه والمغالطة، والظاهر أن المكان والعصر الذي نشأت فيه هذه الأغنيات (وهو أئنا القرن الخامس ق.م.) قد واجها نفس الأسئلة التي تلح علينا اليوم أمام سيل الكذب والزيف والاتجار بالكلمة وتحريفها عن مواضعها..

(١٨) يروى هذا القول على لسان هيراقليطس، وقد ذكره ديوجينيس اللايرسي ١، ٢٥.

(١٩) يروى أرسطو هذه الحكاية الشهيرة في السياسة، ١١، ١٢٥٩.

(٢٠) يؤكد أفلاطون هذا الجانب النظري والتأملي الخالص بحكايته المشهورة على لسان سقراط لمحدثه ثيودوروس عن وقوع طاليس في بركة ماء لانشغاله بالنظر إلى قبة السماء وتأمل النجوم بحيث ضحك عليه فتاة تراقبه مرحة رآته مصادفة وسخرت من شغفه بمعرفة ما في السماء وانصرافه عن معرفة ما يجري أمامه وتحت قدميه. ويدافع سقراط عن طاليس بأن هذه السخرية تنطبق على كل من يحيا في الفلسفة ويهتم بالبحث عن ماهية الانسان - ثيأيتيتوس، ٢٤، ١٧٣ ج - ١٧٤.

(٢١) انظر هذه الأغنيات في كتابي عن سافو، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦.

(٢٢) وردت الحكاية عند الكاتب اليوناني (حوالي سنة ٢٠٠ ميلادية) وقد أخذها عن موسوعة المؤرخ ستوبايوس ٣، ٢٩، ٥٨ - وهي التي ضمت مجموعة ضخمة من المختارات الشعرية والنثرية من الأدب اليوناني انتخبها صاحبها في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد لتعليم ابنه سبتيموس وترتيبها ترتيباً موضوعياً من الميثافيزيقا إلى التدبير المنزلي..

(٢٣) وردت أغنيات الشراب «سكوليا» في كتاب ديوجينيس اللايرسي السابق الذكر، ١، ٣٥ - ٦١، ٧٨، ٨٥، ٩١ - ويلاحظ أن بيراندر طاغية كورنث لم يرد ذكره في هذه المأدبة ولا في صيغتها المتأخرة، كما أن أفلاطون يغفله أيضاً في كلامه عن مأدبة الحكماء السبعة في محاورته «بروتاجوراس» مما يدل على اعتياده على الكتاب الشعبي الضائع الذي سبقته الإشارة إليه..

(٢٤) عن بلوتارك (من حوالي ٤٦ إلى ١٢٠م)، مأدبة الحكماء السبعة، ١١، ١٥٤د، ويلاحظ في هذه المجموعة والمجموعات التالية من «الاجابات» أنها تمثل جنساً أدبياً ازدهر فيها يبدو منذ العصر الهلينستي والعصور التالية، وكان السؤال دائماً يوجه بصيغة أفعّل التفضيل: ما هو

الأحكم أو ما هو الأفضل، وكانت الاجابات تنسب عادة الى الحكماء السبعة، وإن كان معظمها يرجع لوقت متأخر سادته روح مختلفة. ونحن نقابل لعبة السؤال والجواب في حكايات أخرى غير الحكايات المأثورة عن الحكماء السبعة، كما في حكاية اللقاء الذي تم بين الاسكندر الأكبر والبراهمان الهندي، أو في صور أخرى من قصبة الاسكندر في التراث الديني والشعبي، كقصّة ذي القرنين مع الخضر عليه السلام، ثم في كتاب «سندباد نامه» الذي تعتمد عليه اللوحتان الأخيرتان في هذا الكتاب . .

(٢٥) بلوتارك، مأدبة الحكماء السبعة، ١٢، ١٥٥ ج.

(٢٦) وردت هذه الاجابات عند ستوبايوس ٤، ٢٨، ٧، ٢٧، ١٦، ٢٥، ٥ .

(٢٧) بلوتارك، مأدبة الحكماء السبعة ٩، ١٥٣ ج، وديوجينيس اللايرسي ١، ٣٥، وستوبايوس

١، ٣٤، ٧٢، ١٠٢، ١٥٧ .



ديوان النزغات «أواسك واليقين»

فناضل خلف



ARCHIVE

لماذا لم ينشره الزهاوي في حياته ؟

لم يدفعني إلى الدخول في حقل النزغات الزهاوية واعادة قراءة قصيدته الملحمية « ثورة في الجحيم » قراءة واعية متأنية سوى مقولته المشهورة التي قال فيها للملك فيصل حين عاتبه بشأن تلك الملحمة : « لقد عجزت يامولاي عن اضرام الثورة في الأرض ، فأضرمتها في السماء » .

فوجدت أن هذه المقولة تعكس احساس انسان معذب بفكرة الجهر من جهة وبسوط المعارضين من جهة أخرى . . . لقد أراد أن يجهر برأيه في الحاكم والجماهير فتعقبته السلطة حتى جففت في قلمه المداد ، فاتخذ من السماء معادلا موضوعيا يفرغ فيه أحزانه وتمرداته وبذلك صار الرجل متمردا ميتافيزيقيا ولكي لا تنتهم الرجل في دينه يجب أن نفهم المحاور الثلاثة التي يدور حولها أساسا التمرد الميتافيزيقي :

أولاً : محور تمرد التساؤل

هذا التمرد يواجه الظواهر الانسانية والوجودية والميتافيزيقية كلها أو بعضها بنوع من اللادرية الشاملة من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ وهو حين يلقي هذه الظواهر بتساؤل شامل فإن تساؤله ليس تساؤل البادئ الساذج ، وإنما هو تساؤل الباحث الذي ووجه بالحائط الأخير ولم يصل بعد إلى اقتناع نهائي ، انه تساؤل يتضمن تمردا على الاستقصاء الأبدي لهذه الظواهر ، على الفهم والجدوى ومعقولية الحلول ، ولكن هذا النوع من التساؤلات يعني - ولو ضمنا - أن هناك قوة أعلى تستطيع الاجابة على هذه التساؤلات .

ثانياً : محور تمرد المواقف

هذا التمرد يواجه مناطق معينة من هذه الظواهر الانسانية والوجودية والميتافيزيقية باللاادرية الشاملة مرة ، وبالرفض الشامل أيضا مرة أخرى ولكن ما يميزه من « تمرد التساؤل » هو عمله فقط في « مناطق » معينة من هذه الظواهر لا يتجاوز ذلك إلى مواجهة الظاهرة كلها : بمعنى أنه يتمرد على قضية الموت في موقف ، وقد يتمرد على قضية الشر ، في موقف ثان ، وقد يتمرد على قضية الوجود الالهي في موقف ثالث وهكذا . انها مواجهة ليست شاملة ولكن التمرد من خلالها أيضا لا يجيء إلا بعد معاناة البحث ومداومة الحوار .

ثالثاً : محور تمرد الرفض

هذا التمرد يواجه مجموع هذه الظواهر بالمصادرة الكاملة من أول الأمر ، أي أنه لا يلجأ إلى التساؤل المتضمن اقرار الاعتراف بوجود قوة أعلى قادرة على الاجابة عن تساؤلاته ، ولا يلجأ كذلك إلى انتخاب مناطق أو مفردات من مجموع هذه الظواهر الانسانية والوجودية والميتافيزيقية ليمارس فيها تمرده ولكنه يدينها

جميعا - بعد يأسه من الحصول على أمل في الفهم - بالعبث وخطل القوى الكامنة من ورائها ، وركاكة كل ما يربط بينها من وشائج وعلاقات : أي أنه يضع رفضه و « تمرد » في مواجهة المنبع والقاعدة ، يقينا منه بأن كل المفردات تكون بعد ذلك واقعة في قبضة هذا الرفض الشامل الرهيب ، هذه هي المحاور الثلاثة التي يدور حولها التمرد الميتافيزيقي ، فأين موقع الزهاوي من هذه المحاور ؟! وأين موقع تمرده على خريطة هذه التمردات ؟ وهل تمرده هذا كان سببا في عدم نشر ديوان « النزغات » إلا بعد وفاته ؟

إن تجربة الزهاوي في التمرد الميتافيزيقي هي وحدها من بين تجارب المدرسة الكلاسيكية تجربة فذة ورائدة تشكل بحق ظاهرة من ظواهر التمرد التي يمكن أن تضاف إلى رصيد هذه المدرسة لكونها عملا واحدا من شعرائها وإن كان غيره من شعراء مدرسته لا يدورون معه في إطار هذه الفلسفة ، ولا يقفون معه حتى على هذه الأرض ، وقد لا يمنع هذا التعميم أن لدى بعض شعراء الكلاسيكية ما يقولونه في قضية الوجود والعدم وقضية الجدوى واللاجدوى .

يقول الرصافي وهو من شعراء التمرد الاجتماعي :

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتهائي ؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء
أمن وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء
خرجت من ظلمة لاخرى	فما أمامي وما ورائي ؟
مازلت من حيرة بأمرى	معانق اليأس والرجاء !

ويقول أحمد محرم :

وجودي ما عرفتك غير معنى	تغلغل في الخفاء فما يبين
غريق في الظلام ولا مناص	ولا جسر يلاذ به أمين
أقيم عليه سورا من عباب	تضل على جوانبه السفين

أطل ويضرب التيار وجهي فأين أنا ؟ أحر أم سجين ؟

هذه بعض خطرات تعرض لبعض شعراء الكلاسيكية ولكنها أبدا لم تأخذ في شعرهم صيغة الظاهرة التي تدل عليهم أو يدلون هم عليها بما هي تساؤلات حائرة أمام طلاس الوجود ، وليست كما هي في شعر الزهاوي تمردا جارفا على غوامض هذه الطلاس الوجودية الخرساء .

ويقول الدكتور محمد أحمد العزب في كتابه « ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر » :

يبدو أن (تمرد المواقف) هو ألصق هذه المحاور بطبيعة ما أبدع الزهاوي من شعر الترد الميتافيزيقي ، لأنه لم ينجح إلى (التساؤل) اللادري الشامل كما فعل إيليا أبو ماضي ، ولم ينجح إلى (الرفض) المنكر الشامل الذي يتصدى للألوهية بالمصادرة والانكار وإنما كانت مواقفه الشعرية تتسم بالاقدام والاحجام بالتساؤل مرة عن شيء محدد ، وبالرفض مرة لشيء محدد كذلك ، فهو يختار مناطق معينة يشهر في وجهها تمردا ، ولكنه لا يقابل الكل الوجودي والانساني والميتافيزيقي بسلاح التمرد البتار ، بدليل أن الزهاوي نفسه ألف في اليقينيات أشياء تتخطى حدود الدراسة المألوفة . . . إلى التأليف الموجل في التصرف ككتابه : « الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق » . . . وكثرة من شعره الذي يتجه فيه إلى إبراز القيم الدينية والاعتراف الصحيح بانتمائاته الفكري والنفسي إلى هذه القيم ، بل انه في ديوانه المفقود : « النزغات » الذي يمثل قمة تمرده يقسم شعره قسمين : الشك واليقين ، مما يؤكد تردده بين هذين المحورين « إذ المحقق من معارضة دلائل الشك والتردد ودلائل الايمان واليقين - أن هذه الدلائل جميعا قد وجدت في مؤلفاته الباكرا كما وجدت في مؤلفاته الأخيرة على درجة واحدة من القوة والوضوح » كما جاء في كتاب العقاد « رجال عرفتهم ص ١٣٦ » . وهذا يؤكد أن

تمرد الزهاوي ينتمي إلى تمرد المواقف وليس إلى تمرد التساؤل أو تمرد الرفض .

و « النزغات أو الشك واليقين » هو اسم الديوان الذي كتبه الزهاوي ولم ينشره في حياته ، وأثر أن ينشره بعد موته لما فيه من آراء « تصادم آراء المتعصبين » وتشيرهم عليه كما صرح هو بذلك . . . وقد قدم لديوانه بهذه الكلمات : « اختلف في صاحب هذا الشعر فمن قائل : انه لجماعة من الفلاسفة كالرئيس أبي علي بن سينا وابن رشد وابن كمونة البغدادي ، وقائل : انه لفيلسوف كان في زمن الغرور من حياته ماديا ، فقال ما قال من شعر كله شك ، ثم ظهر له الحق فعاد روحيا ، وقال ما قال من شعر كله يقين » .

وقد حاول محقق ديوانه المفقود « هلال ناجي » أن يستشف من هذه المقدمة نزعة الزهاوي الكامنة إلى التدين لا إلى الالحاد ، كما حاول من خلالها أن يخطيء نقاد الزهاوي الذين فسروا هذه الكلمات على أساس أنها تغطية لموقف الشك والتمرد ، وأن يرد خطأهم - إلى أن الشاعر لم يكن في حاجة إلى التستر وخاصة أنه يعلم أن هذا الشعر لن ينشر إلا بعد موته ، أي بعد أن تسقط مسؤوليته تماما .

ويخيل إلي أن الاتهام والدفع كليهما لم يحاولا أن يضللا من الكلمات إلى أبعد من منطوقها الحرفي . . . إن الزهاوي لا يدلل بها على نزعة تدين كامنة ، كما أنه لا يغطي بها موقف شك اتخذته وسار فيه ، ولكنه أراد بها لونا من التقرير يؤكد أن الشك « في الشعر العربي » ليس وليد اليوم وإنما هو غائر الجذور في تاريخ التراث من ابن سينا إلى ابن رشد إلى غيره من الفلاسفة الشعراء ، كما أراد بها لونا آخر من السخرية بمقولة الرجعة عن الشك إلى اليقين ! ومهما يكن من شيء فإن « النزغات » تمثل في مسيرة « المضمون الشعري » المعاصرة تمردا هائل الأنحاء والأعماق ، بما أنطوت عليه من أفكار فلسفية نائرة ، وبما شاع فيها من روح السخرية بكل ما هو يقيني وثابت في حياتنا الأدبية والفكرية والدينية مخالفة في ذلك لطبيعة المضامين الشعرية السائدة التي كانت ترى في الوصف والمدح والهجاء

والرثاء كل ما يمكن الشعر أن يقوله أو يدور من حوله .

لقد شذ الزهاوي عن هذه القاعدة بشعره المفكر ومضامينه الفلسفية ،
« إلا أنه غلبت عليه في معالجة هذه الموضوعات روح العالم المفكر أكثر من روح
الشاعر الأديب » فجاء شعره مثقلا بالحقائق وبعض الأصول والنظريات العلمية
أحيانا ، والاستطراد إلى ما قد يخرج به عن المراد ، فضلا عن الطابع التفكيري
والجمود التقريري الذي يسلكه في صفوف المفكرين المصلحين لا الشعراء
الملهمين . وتمثل « النزغات » إلى جواز ذلك هجوما حادا على كثير من
الأساسيات الدينية : كالعبادات ، والغيبيات وحقائق الخالقية والمخلوقية ،
وبدء العالم ، ومواجهة إبليس لله ، والفناء والخلود ، والأديان ، والعقل وتناقض
الرحمة والعذاب ، ومصادرة الحرية في الدين ، وشيئة صفات الله ، وغير ذلك
من الهجوم المارد على كل ما هوديني بدءا من الحقائق الصغرى وانتهاء إلى الحقيقة
الكبرى التي هي الله ، ويكفي أن ندلل ببعض آيات على هذه القضية غير
موغلين في النقل والاستدلال :

لما جهلت من الحقيقة أمرها وأثمت نفسك في مقام معلل
أثبت ربا تبتغي حلا به للمشكلات فكان أكبر مشكل

صلى الإله على إبليس فهو له	تصرف مثلما لله في الناس
الله يلقي بالهام مقاصده	في كل قلب وإبليس بوسواس
انما فكرة (الله)	من الجهل تنجم
عبد الناس في معا	بدهم ما توهموا

وعلى الرغم من قسوة هذا الهجوم فإن ناقداً كالعقاد يلاحظ أنها شكوك
يسيرة وأيسر منها أن نرد عليها : (فكل شكوك الزهاوي بلا استثناء مما يقبل الرد
والاستخفاف من النظرة الأولى ، لأنها مبنية على تصور العامة الجهلاء للخرافات

والأساطير التي يلصقونها بالدين وهو بريء منها بعيد عنها وليس من هذه الشكوك شك واحد يقوم على فهم الدين كما ينبغي أن يفهمه المؤمنون به على صحته وقد كان خطأ الزهاوي الأكبر أنه يتلقى حجة العقائد من الأوهام الشائعة بين المقلدين دون الثقات المجتهدين . .) . وإذا صح حكم العقاد على جانب من شعر الزهاوي المتمرد فانه لا يصح على جانب آخر ، لأنه في بعض هذا الشعر يثير من القضايا الجدلية ما يمكن أن يكون مناطا لحوار طويل بما هو صادر عن نظرة فلسفية عميقة تحاول أن تستجلي أغوار قضية من القضايا ، جو تستكنه عالم مشكلة من المشكلات ، وليس مجرد خطف من العامة يمتلئ بأشئآت من الخرافات والأساطير كما يقال .

ولكن العقاد يزن شعر الزهاوي وزنا فنيا فيقول :

(وجملة القول في الديوان المفقود وفي الدواوين المنشورة أنها طور واحد من الفكر لم يتغير في مدى خمسين سنة ويوشك أن يتقل كل بيت في ديوان من هذه الدواوين المتتابعة إلى ديوان آخر صدر قبله أو بعده بغير اختلاف في المعنى أو في النسق أو في الأسلوب إلا ما تقتضيه المراتة الطويلة من تيسير النظم في نهاية الشوط بعد تعسر فيه عند الابتداء) .

<http://Archivebeta.Sakhy.com>

ويقول الدكتور محمد أحمد العزب رداً على قول العقاد : وهو قول على جانب كبير من الصواب لولا إسرافه في اطلاق الحكم بإمكان نقل بيت من ديوان إلى أي ديوان آخر بغير اختلاف في المعنى أو في النسق والأسلوب وهذه واحدة من إطلاقات العقاد التي عمم فيها الحكم على غير أساس علمي أو منطق منهجي مدعوم بالاستدلالات .

وقد تأثر الزهاوي جداً بحبس ديوانه « النزغات » إلى حين موته فجاءت ملحمة « ثورة في الجحيم » نتيجة لهذا التأثر والدليل على ذلك أنها تنوع على فكر (النزغات) المتمرد الرافض الشاك ، وهي ملحمة طويلة تتألف من خمسة

وثلاثين وأربعمائة بيت من الشعر الملتزم لقافية رائية واحدة ، وقد نشرها الزهاوي عام ١٩٢٩ ، فأشعل بها حرائق الجدل النقدي ، وأثار الغضب الديني ، لما تنطوي عليه من فكر متمرّد ثائر يهز قواعد التقاليد والطقوس المحسوبة على الدين .

وتتلخص الملحمة في أن الشاعر يموت ويودع القبر فيظهر (منكر ونكير) الملكان الموكلان بحساب الميت لحظة دخوله القبر - فيسألانه عن عقيدته ومذهبه فلا يرضيان عن أجوبته ولا يرضى هو عن أسئلتهما فيعذبانه عذاباً أليماً ، ثم يطيران به إلى الجنة ليشهد أي نعيم حرم منه نفسه بتفلسفه ، فيبصر من المباهج والطيبات أشهائها ، ولكنه يجد من يتمتعون بها كثرة من الجاهلين إلى قلة من الصالحين . . ثم يهبطان به إلى الجحيم فيجدها ملاءى بالعابرة والمتحررين . . ! وفجأة يحدث ما ليس في الحساب إذ يخترع أحد هؤلاء الحكماء مضخة يطفى بها النار ، وتنشب الثورة في الجحيم ، فيزحف سكانها إلى السماء ويحتلونها في حرب صاعقة خاطفة على ظهور الشياطين) .

ومن شعر الملحمة هذا الح
السائل والميت المسئول :

قال ما ذاته . . فقلت مجيب	بلسان قد خانته التفكير
اني لا أدري من الذات شيئاً	فلقد أسدلت عليها الستور
إنما العلم كله هو أن الله	حيٌّ وأنه لا يبور
ما لكل الأكوان إلا اله	واحد لا يزول وهو (الاثير)
منه هذا الوجود فاض عميماً	واليه بعد البوار يصير
ليس بين الاثير والله فرق	في سوى اللفظ ان هداك الشعور !
وبحسبي إني صدعت بما أد	ري على العلم انه سيضير

رأي الزهاوي نفسه في ملحمة :

كان الزهاوي يعتبر ملحمة هذه أروع ما أبدع من شعر فقال : (ولما نظمت قصيدي (ثورة في الجحيم) أخذ بعض الخطباء يلعني على المنبر في خطبة صلاة الجمعة ، فقلت في نفسي : اتساوي قصيدي كل هذا اللعن ثمنها وستذهب لعناتهم وتبقى ثورة في الجحيم خالدة !) .

آراء بعض النقاد الذين كتبوا عن الزهاوي :

أغلب الذين كتبوا عن الزهاوي آثروا تقديم ثورته في الجحيم على بقية شعره فمنهم الريجاني الذي قال : (إن للزهاوي آثارا شعرية نفيسة ، وأنفسها في نظري وأحقها بطول البقاء قصيدته أو ملحمة الصغيرة « ثورة في الجحيم ») .

وقال كذلك أحد المستشرقين الروس :

(أما القصيدة الطويلة المعنونة بثورة في الجحيم . . . وكذلك القصائد المفردة فخير الشواهد على تطبيقه لنظرياته من الناحية العلمية ، وهي النظريات التي أفرد لبسطها عددا من المقالات والمحاضرات والمقدمات التي وضعها لدواوينه الشعرية) .

وقال اسماعيل أدهم :

« وإني أعتقد اعتقادا لا يوهنه الشك ، ولا يتطرق إليه الريب - أن شاعرية الزهاوي كامنة في شعره الفلسفي . وقال : « والآن لنختر من بين مقطوعاته الفلسفية أهمها لنحللها ، ولا شك في أن ملحمة « ثورة في الجحيم » خالدة ، إذ بثها معتقداته الدينية وارهائه الفلسفية . وهي إلى جانب ذلك تحفة فنية غنية بطاقتها الشعرية . . . من هذا كله نرى أن الزهاوي رأى نفسه ورآه نقاده أشعر ما يكون في قصيدته هذه » .

آراء الآخرين :

ولكن بعض النقاد لا يرون في القصيدة أو الملحمة سوى جبن الشاعر أمام الملكين (فلا عجب إذا جبن وارتاع وفقد حتى لغة الشعر فنطق بالنثر المنظوم) - بل إنهم يرون إنها مجرد تقليد لشاعرين عربي وغربي ، دانتي والمعري .

وهذا الرأي :

أقول وأنا في منتهى التواضع أمام جبروت نظريات النقد الحديثة أن الزهاوي لم يصبر على ديوانه « النزغات » إلى أن يموت بل ظل هذا الديوان يثور ويمور في داخله إلى أن أخرجه في صورة « ثورة في الجحيم » وبهذا أطل على الذين مازالوا يدورون حول معالجة التأثير في الأدب المقارن وأقول بأن التأثير كما يهاجم الشاعر أو الأديب من محيطه الخارجي فإنه أيضا يهاجمه من خلال توهج المخزون النفسي على مدى سني عمره وشاهدي على ذلك هو كيف حول الزهاوي نزغاته إلى ثورة في الجحيم . وأخيراً أرى أنه من العجيب أن هذا المنزع امتد بعد الزهاوي حيث ظهر في الشعر الحر بكثافة كثيفة فلبأ شعراؤه إلى مواجهة السماء حين عجزوا أو حين جبنوا عن مواجهة الأرض لأن للأرض سيافا ، ولأن للسماء عيوناً ترمقهم في وداعة وهم يفكرون فاقراً معي على سبيل المثال هذه السطور للشاعر المصري المعاصر فاروق شوشة :

الآن من ينجيك من برودة الصمت الثقيل مطبقاً وقابضاً أم ياترى يروق لك وقد عبرت عن سفاسف الحياة والبشر واستسلمت عيناك للحذر واقترحت سكينه الردى خطوط سحتك .

تحفي الذي يمور فيك من مكيدة القدر
منسحقاً تحت سنابك الرضا

هل ثم ما تراه غامضا
أم أن دورة السؤال خاطر عبر
يفضي بنا إلى القضا
ولا مفر !

المصادر :

- ١ - د. محمد أحمد العزب : ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر : سلسلة اقرأ (٤٤٢) ديسمبر ١٩٨٧ ص ٨٤ ، ٨٥ .
- ٢ - نفس المصدر ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .
- ٣ - ديوان الرصافي .
- ٤ - عباس محمود العقاد : « رجال عرفتهم » ص ١٣٦ .
- ٥ - هلال ناجي : « الزهاوي وديوانه المفقود » .
- ٦ - د. جميل سعيد : « الزهاوي وثورته في الجحيم » .
- ٧ - أحمد أبو سعد : الشعر والشعراء في العراق ، الزهاوي ص ٣٦ - ٦٧ .
- ٨ - عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- ٩ - المصدر السابق : ص ١٣٩ .
- ١٠ - أحمد أبو سعد : الشعر والشعراء في العراق - ص ٥١ .
- ١١ - مقدمة الأوشال للزهاوي صفحة « و » .
- ١٢ - قلب العراق ص ٢٥٦ مطبعة صادر بيروت سنة ١٩٣٥ .
- ١٣ - دائرة المعارف الاسلامية المجلد العاشر ٤٤٦ - ٤٥٠ .
- ١٤ - مجلة الامام ، عدد مارس لسنة ١٩٣٧ ص ١٠٦ .
- ١٥ - د. جميل سعيد : الزهاوي وثورته في الجحيم ص ٣٣ - ٣٤ .
- ١٦ - مارون عبود : « أمين الريحاني » ص ٨٥ .
- ١٧ - فاروق شوشة : « الأعمال الشعرية الكاملة » المطبعة العالمية بالقاهرة يونيو ١٩٨٥ ص ٤٧٥ .

شومساي

والنظرية التوليدية

بم
د. منذر عياشي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد إتفق العلماء قديما وحديثاً على أن اللغة «تُكوّن نظاماً من الرموز الصوتية، وتستخدم للتعبير عن أفكار ومشاعر ذات طبيعة قابلة للانتقال»^(١). كما اتفقوا أيضاً على أن «فونيمات اللغة تتكون من نظام متميز وخاص بكل لغة . . ، وأن الكلمات تتكون من متتالية من الفونيمات»^(٢).

نستطيع أن نقول إن هذا هو الحد الأدنى من الاتفاق بين العلماء . ولكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً في دراسة اللغة، كل بحسب اهتماماته : دينية وفلسفية، اجتماعية ونفسية، سياسية وأنتروبولوجية . ونشأت عن هذا الاختلاف نظريات لسانية متعددة ومدارس لغوية كثيرة . وتنوعت تبعاً لذلك مناهج البحث وطرق الدرس .

نود في هذا المقال الموجز أن نقدم إحدى هذه النظريات لما حازت عليه من الشهرة ولما لها من الأثر في ميدان الدراسات اللسانية خصوصا والدراسات الانسانية عموما. هذه النظرية هي نظرية القواعد التوليدية. ولا نبالغ اذا قلنا إنها، كنظرية من أجل اللغة، تكاد تكون الوحيدة التي شددت العلماء اليها على اختلاف مشاربهم ومشاغلهم العلمية.

١ - شومسكي والدراسات اللسانية :

نشأ شومسكي ضمن تقاليد مدرسة بلومفيلد السلوكية. وقد تتلمذ على يد موريس هال الذي تأثر به وأخذ عنه كل مفاهيم المدرسة البنيوية. وكانت الدراسات اللسانية حينئذ تنقسم إلى قسمين: مدرسي ووصفي. ولما كتب كتابه في سنة (١٩٥٧): (البنى النحوية)، أحدث ثورة في التفكير اللساني وقلب المفاهيم السائدة. ويعتبر هذا الكتاب بمثابة مرحلة أولى في تطور حياة شومسكي اللسانية. ثم ألحقه بعد ذلك بكتاب آخر وكان ذلك في الستينات سماه: *Aspects de La Théorie Syntaxique*. ويعتبر هذا الكتاب مرحلة ثانية من مراحل تطوره إذ أدخل فيه مفاهيم جديدة على الدرس اللغوي إضافة إلى الأولى التي ضمنها كتابه الأول. ولقد انصب جهده في الكتابين على التنظير للغة وإقامة منهج تدرس من خلاله. وتوالت بعد ذلك كتاباته إلى يومنا هذا، وأصبح له مدرسة وتلاميذ في مختلف أنحاء العالم.

إننا لا نغالي إذا قلنا إن نظرية القواعد التوليدية تعتبر من أهم ما عرفت اللسانية من تطور في العصر الحديث. ولكن من أجل الانصاف يجب أن نقول إنها، كنظرية، كانت معروفة عند أهل النظر وأصحاب الأصول من فلاسفة المسلمين وعلمائهم كالجاحظ في كتابه «الحيوان» و«الرسائل»، والقاضي عبد الجبار في «المغني»، والرازي في «مفاتيح الغيب» والغزالي في «المستصفى من علم الأصول»، وابن حزم في «الاحكام في أصول الأحكام». كما كانت لها بدايات تطبيقية عند بعض اللغويين كسيويه والسكاكي وابن جني والجرجاني، وغيرهم.

٢ - مكونات النظرية التوليدية :

يقول شومسكي في تعريف اللغة: «نسمي (لغة) من الآن فصاعدا كل مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل. أما الجملة فذات طول محدود، وتتكون من مجموعه محدودة من العناصر»^(٣).

ويقول في تعريف القواعد التي يقترحها من أجل تفسير بني اللغات: «يجب على القواعد التوليدية أن تكون نظاما من القوانين التي تستطيع أن تتكرر بغية توليد عدد كبير من البنى»^(٤).

فإذا أردنا - بناء على هذين القولين - أن نعطي تعريفا موجزا عن هذه النظرية فيمكننا ان نقول بأنها تتكون من قواعد اللغة، أو هي قواعد اللغة نفسها والموجودة في أي لغة من اللغات الطبيعية.

أما إذا أردنا أن نعطي وصفا عنها فيمكننا القول إنها:

- أ - تشكل نظاما.
- ب - وأن هذا النظام يحتوي على مجموعة من القواعد.
- ج - وأن هذه القواعد تتصف بأنها محدودة في اللغات بعدد لا تتجاوزه.
- د - وأن هذه القواعد المحدودة تستطيع أن تولد عددا من الجمل لا حد له، أو غير نهائي.

٣ - موقف هذه النظرية من اللغة :

إن اللغة أداة. وهي كأداة تعكس التفكير. وتنفي النظرية التوليدية أن تكون اللغة هي التفكير نفسه. وإذا كانت اللغة كذلك فيمكن استخدامها في أغراض متعددة، منها:

- ١ - قد تستخدم في التوصيل والايصال، فتدخل في الحدث الاجتماعي أو تشارك في حدوثه.

٢ - وقد تستخدم لأداء غرض في فتدخل في ميدان أعلى من ميدان الكلام والتوصيل الذي هو من مستلزمات الحدث الاجتماعي اليومي .

٣ - وقد تستخدم استخداما فرديا للتعبير عن الذات دون غرض الاتصال .
وإذا كانت هذه النظرية تعدد استخدامات اللغة . فإنها توكل إلى الانسان وحده تعيين الهدف من استخدامها . فاللغة في هذا المعيار انسانية ابدا ، سواء كان ذلك من حيث المنشأ أو من حيث التطور . ولقد ردت هذه النظرية شبهتين :

* الشبهة الأولى :

أراد بعض أتباع الدراوينية أن يشيعوا فرضيات خاطئة حول أصل اللغة ، فافترضوا بأنها من أصل حيواني ، تماما كما افترضوا بأن الانسان من أصل حيواني . فردت هذه النظرية على هذه الشبهة ، ونفت وجود أي مقارنة بين اللغة الانسانية والتعبير الحيواني . وقد أكدت بذلك على انسانية اللغة وتفرد الانسان بالكلام من بين سائر المخلوقات . وللشهرستاني لفظة جميلة ، إذ يقول : « النفس الناطقة هي الانسان من حيث الحقيقة »^(٥) وقد ردها على الفكر اليوناني القائل : الانسان حيوان ناطق .
<http://Archivebeta.Sak/olm>

* الشبهة الثانية :

وأراد بعض أتباع نظرية دوركهيم في العقل الجمعي نفي أهمية الفرد في الحدث اللغوي عن طريق نفي أهميته في الحدث الاجتماعي ، فردت النظرية التوليدية ادعاءاتهم وأكدت على دور الفرد في استعمال اللغة . وهي ترى ، في هذا الخصوص ، أن اللغة إذا كانت ملك المجتمع الذي نشأت فيه ، فهي أيضا ملك الفرد الذي يستعملها استعمالا خاصا ، ولا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك .

٤ - تعلم اللغة في هذه النظرية :

إن اللغة في هذه النظرية تواضع واصطلاح، وهي بهذا الاعتبار تضرب صفحا عن كل الأفكار الميتافيزيقية التي تقال عن اللغة. إلا أن النقطة الأساسية التي ركزت عليها تظهر في نفيها فكرة أن تكون اللغة التي يتكلمها الإنسان فطرة فيه تلد بمولده. وقد حددت بموقفها هذا طريقة تعلم الطفل لغة مجتمعه وفسرتها.

إنها ترى أن الطفل يتعلم لغة أبويه بطريقة آلية محضة، وذلك يختلف عن تعلمه لغة ثانية غير لغة المحيط الذي نشأ فيه. ولقد استخلص شومسكي، صاحب هذه النظرية، من تأملاته في هذه النقطة فكرتين أساسيتين وجوهريتين بالنسبة للدراسات اللسانية، أو اللسانية والتعليم: ^(٦)



* الفكرة الأولى ويقرر فيها:

- ١ — أن تعلم اللغة الأولى أول لغة الأم يتم بطريقة آلية.
- ٢ — إن الإنسان لا يولد وفي فطرته لغة معينة.
- ٣ — إن الاستعداد للتعلم بطريقة آلية هو الشيء الوحيد الموجود في فطرة الإنسان.
- ٤ — أن لا فضل للغة على لغة. وأن الطفل يستطيع أن يتعلم أليا أي لغة ما دامت هي لغة المحيط الذي يعيش فيه.

* الفكرة الثانية ويقرر فيها:

- ١ — إن الطفل إذا كان يتعلم اللغة بطريقة آلية عن طريق الاستعدادات الفطرية الموجودة عنده، فإنه يستخدم قواعد اللغة في بناء الجملة استخداما أليا أيضا.
- ٢ — ويرى كذلك أن الحدس اللغوي يضبط كل نشاطات الطفل القاعدية في استعمال اللغة وفي تركيب الجملة.

٣ - ويقرر، أخيراً، أنه لا أثر للتفكير بتاتاً في قواعد اللغة. أي أن الانسان، طفلاً كان أو رجلاً، لا يفكر في القواعد وهو يتكلم لغته الأصلية.

٥ - مكونات الجملة في هذه النظرية :

أ - بنى الجملة :

يقول شومسكي : «إن معرفة لغة من اللغات تستوجب القدرة على اعطاء مجموعة محددة من الجمل بنية فوقية وبنية تحتية. كما تستوجب أن نصل بين هاتين البنيتين بطريقة صحيحة، وأن نعطي للبنيتين الفوقية والتحتية المشتركين معاً تأويلاً دلالياً وصوتياً»^(٧).

يتبين لنا من هذا القول أن الجملة، في هذه النظرية، تتكون من بنيتين :



ARCHIVE

ب - وظائف البنى : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١ - بنية فوقية أو سطحية .

٢ - بنية تحتية أو عميقة .

إذا كانت الجملة تحتوي على بنيتين، فإن لكل بنية من البنيتين وظيفة محددة ومعينة، أما عن البنية الفوقية فإن شومسكي يقول إنها «تحدد التأويل الصوتي كلية». وأما عن البنية التحتية فيقول إنها «تعبر عن الوظائف القاعدية التي تضطلع بمهمة تحديد التأويل المعنوي»^(٨). ويقول أيضاً عن القواعد التي تبنى على هذه الصورة إنها «تكون الخطوة الأولى نحو شرح الكيفية التي يستطيع الشخص بها أن يفهم أي جملة من جمل اللغة»^(٩).

تقودنا مثل هذه الأقوال الى شيئين :

١ - الشيء الأول وهو أن البنية التحتية للجملة عبارة عن بنية دلالية .

٢ - الشيء الثاني وهو أن البنية الفوقية للجملة، على اعتبار أنها بنية صوتية، فإنها

تتكون من متواليات من الفونيمات، وأن هذه الفونيمات تنتظم في الجملة عن طريق نوعين من النظم: النظام الأول ويسمى بالمورفولوجي، وهو يرتب أو يوظف مجموع فونيمات (صوائت) الجملة في كلمات. والنوع الثاني من النظم ويسمى بالنحو، وهو يوظف الكلمات ضمن نوع محدد من العلاقات التي تترجم المعنى الموجود في البنية التحتية عن طريق قواعد خاصة تسمى بقواعد التحويل.

٦ - العمليات القاعدية في النظرية التوليدية :

إن استخدام اللغة يعني بناء الجمل. ولن نجد إنساناً يريد أن يعبر عن مقصوده عن طريق اللغة إلا وهو يركب جملًا. ولكن المتكلم حين يركب جملة يعتمد على مستويين لغويين :

المستوى الأول: وتسميه النظرية التوليدية «التمكن» .
المستوى الثاني: وتسميه «الأداء» .

أما التمكن فيعرفه شومسكي بأنه «المعرفة الضمنية التي يملكها المتكلم - السامع عن لغته»^(١١). وأما الأداء فيعرفه بأنه «الاستعمال الفعلي للغة ضمن حالات واقعية»^(١٢) ويقول أيضا بأن «الأداء يعكس التمكن مباشرة»^(١٣).

وإذا كان الناس يختلفون في مستوى الأداء فإنهم يستوون غالباً في مستوى التمكن. وهذا يعني أن النظرية التوليدية «تحدد، انطلاقاً من معطيات الأداء، النظام الضمني للقواعد التي تمكن منها المتكلم - السامع والتي استخدمها في أدائه الفعلي»^(١٣).

وعلى هذا الأساس فإن النظرية التوليدية تستخدم أربعة أشياء في كل عملية قاعدية :

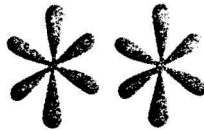
١ - إنها تستخدم علم الدلالة لتحديد المعنى الموجود في البنية التحتية للجملة .

- ٢ - وتستخدم القواعد الفونومورفولوجية لتحديد الصورة السمعية لبنية الجملة
الفوقية .
- ٢ - وتستخدم قواعد التحويل للانتقال من البنية التحتية للجملة إلى البنية الفوقية .
- ٤ - وتستخدم ، أخيراً ، النحول لتحديد نظام الجملة .

المراجع :

- ١ - Edward Sapir, Linguistique .
- ٢ - المرجع السابق (ص) ٣١ .
- ٣ - Structures Syntaxiques, P. 15. .
- ٤ - Aspects de la Théorie syntaxique. P 15. .
- ٥ - نهاية الاقدام في علم الكلام . صححه يلفرد جيوم «بغداد» . ص (٣٢٥) .
- ٦ - Aspects de la Théorie syntaxique. P.31. .
- ٧ - Le Langage e La pensée. P51-52. ٩ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ .
- Aspects de La Theorie syntaxique. P13. .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



الشيء الذي ينجو من إدراكهم أي يعيهم فهمه ، و ينجو من الطريقة التي اعتادوا أن يفكروا ويحسوا بها . لأنه كيف يمكن الاقناع بخداع أو مختلة الفنانين الذين بالنسبة لهم وكما هو ظاهر ، أن الفن كما يدركونه هو السبب الجوهرى للعيش ؟

يتوجب إذن أن نفكر أنه بالنسبة لهم على الأقل ، يوجد في أثرهم أو آثارهم ، شيء ما يستدعي أن « يفهم » . وإن سوء الفهم الذي هم هدف له ، يمتلك هذا مما هو عملي أي أنه يضع على بساط البحث المشكلة بكل وضوحها : أو يكون الأمر هكذا لأن عملاً أدبياً بدا كما لو كان قد نجا من سلطة المبادئ المعتادة والمتفق عليها أنه خلو من كل معنى ؟ أليس المعنى الحقيقي لأثر أدبي هو ألا يكون من غط آخر غير ذاك الذي نتوجه نحوه اعارته إياه للوهلة الأولى ؟

وهكذا ولهذا السبب فإن المؤلفين الذين يبدوون سهلين هم في بعض الأكثر الأحيان صعوبة . إنه لا يوجد أي خطر على واحد كمالارميه الذي ضمن نفسه أو أمنها بعناية وبوعي ضد الاعجاب الغوغائي الناجم عما هو سوقي . ولكن ماذا عن واحد كـ هوغو ؟ كـ راسين ؟ أليس هناك خطر في أن يحكم عليهم وأن يعجب بهم من حيث الظاهر ؟ إننا نفهم جيد "Gide" الذي يجذر القارئ ويدعوه للبحث فيما وراء الارتباطات الميسورة الولوج ، فيما وراء الفنان المفتوح للجميع ، وأن يدخل حتى إلى أعماق سر المعبد .

لقد نسينا في الحقيقة معاني الكلمات ، لقد نسينا ما كان عليه الأثر الأدبي بالنسبة لفناني العصور الوسطى : إن أي أثر أدبي عظيم هو معبد ، أي بما معناه أنه عالم مصغر ، أي ميكروكوسم ، إنه الصورة ذاتها للخلق أي الابداع . إنه في كل أثر أدبي عظيم يوجد على الأقل ، وفي مبدئه تلك الرغبة لاعادة خلق العالم وبصورة كلية وعلى شتى المستويات في ذات الوقت .

على شتى المستويات

من هنا يأتي البناء المعقد ، والمعنى المتعدد « إن كل أثر أدبي أهل لهذا الاسم ،

كان دانت، "Dante" قد قال ، له ثلاثة معانٍ متراكمة فوق بعضها البعض « هناك المفهوم الظاهر المادي بأي شكل من الأشكال : الموضوع ، الطرفة ، والقصة التي نروي . وهناك أيضاً ، وبصورة أكثر عمقاً المعنى الفكري أو الأخلاقي ، الهجائي ، الاجتماعي أو الفلسفي ؛ أحياناً يكون صريحاً ، وإنه ينتج في أكثر الأحيان إيماءات بشكل أو بآخر مقنعة . ولكن إنه يوجد في كل أثر أدبي المزيد أيضاً : معنى خبئاً خفي ، ينضوي تحت الجانب الروحي وبشكل صوفي خالص . هذا المعنى الصوفي لا يدركه أو يعيه المؤلف في كثير من الأحيان بشكل تام . في حين أنه يمكننا أن نؤكد وجوده في كل أثر أدبي رئيسي ، وعلى الأقل بشكل خفي ، وإن هذا المعنى هو الذي يسمح بالاعتراف به كعمل أدبي ممتاز .

الأثر الأدبي كائنٌ حيٌّ

لماذا ؟ لأن الأثر الأدبي ليس عالماً فحسب بل إنه كائن حيٌّ ، فهو حي بنسب متفاوتة وحسب مستوى عمقه . على المستوى المتدني يمكنه أن يعيش حياة مستعارة ، تلك الحياة الاستعمالية الخالصة وذات المصلحة التي يمكن أن تمنحها أو تهبط حاجات جماعة بشرية ما لأداة ما . فالأدب يدخل عندئذ ضمن مرتبة الأدب المسمى بالأدب « التجاري » . وفي درجة أعلى ، فأنا نلتقي بأثر تعيش حياة واقعية ، ولكنها لازالت وعلى نحو نسبي سطحية ، مرايا لمجتمع ما فهي بذلك تترجم وبموهبة الطموحات والأذواق ، كآلات موسيقية قد دوزنت جيداً ، بحيث أن فناً ماهرراً يستطيع أن يستخلص منها أصواتاً متناغمة أي منسجمة : إنها تشكل الأدب الذي يمثل حقبة ، والذي لا يعيش سوى لامتداد جيل واحد . بعد ذلك إن هذه الآثار الأدبية ، لذوي الموهبة ، والتي كانت أحياناً جد مبهجة عند ميلادها تموت . هذا يعني أنها لا تحافظ على نفسها كهذه « التزيينات » التي لا حياة فيها والتي يتحدث عنها بيغي "Pegy" والتي ليس لها سوى أهمية ومعنى تاريخيين : إنها تعني لمؤرخي الأدب العصر الذي أنتجها والذي وجد فيها التمثيل لمشاعره وأحاسيسه ، ورغباته أو أفكاره .

إن العمل أو الأثر الأدبي الممتاز ، هو عمل خالد . هذا يعني أنه يحيا من جديد

من جيل إلى جيل ، لأسباب يمكن أن تبدو متباينة أمام النظرة الأولى ، وإن كل عصر له طريقته الخاصة للاعجاب بأثر ما . ولكن هذه الأسباب لازالت خارجية . إن السبب الحقيقي هو أن الأثر الأدبي الممتاز يتضمن في ذاته ليس انعكاساً للحياة وإنما الحياة ذاتها ، إنه يشتمل على شرارة الحياة ، وأنه ليس له فقط جسد وروح ، ولكن له عنصر خالد لا يموت : له نفس ، تجعل منه ليس فقط جهازاً حياً ، وإنما تجعل منه نوعاً من كائن إنساني ، يمتلك زيادة عن الانسان الذي أبدعه ذلك السمو عليه ، وأن نفسه الخالدة تهب الخلود حتى لجسده . هذه النفس ، إنه العبقري وحده الذي استطاع أن يهبه إياها . هذا وإن بيغي "Pegy" قد كان محقاً عندما أكد أن الآثار الأدبية التي تتجلى فيها العبقرية أنها من نظامين مختلفين : ولنعي ذلك بالمفهوم الباسكالي : الأولي أي الآثار التي تبدو فيها الموهبة هي مما ينتمي إلى الروح والأخرى هي مما ينتمي إلى القلب وإنه يوجد بين هذه وتلك مسافة لا متناهية ، فقط الزمن وحده قادر على جعلها محسوسة من قبل الجميع .

الفن والشعر

أليس هذا هو ما يميز أيضاً الشاعر من الكاتب ؟ بالنتيجة إن الشعر هو شيء آخر جد مختلف عما نعمل في العادة . وإنه ليس إلا في العصر الحديث كنا قد بدونا بصورة غير محسوسة نطابقه مع الغنائية . في حين أن الغنائية نوع طبيعي كالملحمة أو المأساة . إن الشعر ليس نوعاً . إنه أصل كل الأنواع كما الفعل الخلاق نفسه . شعر : هي أن تبعد ، أن تبعث الحياة ، أن توصل الشرارة ، هذه الشرارة التي هي ميزة وسلطة العبقري ، أن تنتج البرق الذي ينور فجأة الأعماق . وهكذا فالشاعر الأصيل ، متلقياً في نفسه الالهام كفضل من الله ينجب الأثر الأدبي واهباً إياه بدوره نفساً .

أيلتبس الشعر مع الفن ؟ بالمعنى الدقيق ، بالتأكيد لا . حتى لقد جعلناها نقيضين الواحد للآخر ، كقطبي كل ابداع : من جهة يوجد الالهام ، الذي هو عفوي أو تلقائي ، « ممنوح » ، ومن الجهة الأخرى العمل ، التقنية ، الذي هو مركب ومنظم .

لقد ميز وبصورة دقيقة جداً بين اللذة الشعرية واللذة الجمالية . فهذه عاطفية بشكل خاص وتلك فكرية على وجه التقريب ، أي لذة متخصصة جداً ، إنها لذة العارف أي المتبحر في الشيء . إن الانفعال الجمالي ليس غريباً في الواقع على كل موقف إدراكي . إنه يتضمن في ذاته غمطاً من المعرفة . في الحدود التي يتضمن أو يقتضي قدرة على ضبط الأبنية أو التراكيب . لكن هذه الطريقة أو هذا الأسلوب في المعرفة يختلف عن أسلوبنا المعتاد : فمحل المنطق محل الحدس ، الذي تعلمناه ثانية - منذ بيرغسون - هو أيضاً وسيلة معرفة . وهو وسيلة خطيرة أيضاً لأن الحدس في الكثير من الأحيان مدموغ بعاطفية . وإنه ليس دون خطورة أن يستريح إليه القارئ والشاعر على الإطلاق .

ومهما يكن ، فإنه لا يتوجب ، بالتمييز بين اللذة الشعرية ، واللذة الجمالية ، أن نمحق هذه الأخيرة كما كان قد فعل « شارل لالو » "Charles Lalo" من « تقدير وإعجاب بالسمو التقني » في حين أنه يخص - من خلال التقنية - ما يتناسب في آن واحد مع الانفعال والمعرفة الحدسية . إنه في الأدب ، وكما رأى ذلك « جون هيتيه » "Jean Hytier" بصورة كاملة أي مبرأة من العيوب ، يمكن أن يوجد شيء من الفن في كل مكان وعلى كل المستويات : في الصياغة ، وكذلك أيضاً في الخيال وفي البناء أو التركيب ، وحتى فيما يسميه اضماء الصبغة الشعرية ، أي بما معناه اضماء نوع من المزاوجة أو المزج للإلهام الذي يؤدي هو أيضاً إلى لذة فنية .

بيد أن كل فنان هو شاعر أولاً ، وهو كشاعر يبحث بصورة أقل عن الامساك بالجمال من خلال بحثه عن الاحساس بالعالم - العالم الخارجي أو العالم الداخلي - وبطريقة ما هي محض شخصية ولا يمكن استبدالها .

في الجوهر ، هناك طريقتان أو أسلوبان للامساك بالعالم : كحاجة نجردها لذواتنا أو ننتزعها من ذواتنا ، وهذا أسلوب العالم الذي يعتبر العالم كواقع بارد ، غريب ولا إنساني ، واقع موضوعي ، أو كوجود ملموس ، قريب منا ، مشارك في الطبيعة أو الجوهر لنا ، والذي نتسب إليه كموضوع ، والذي نحن مركزه : عالم إنساني واقع

ذاتي أو شخصي ، مركزي انساني وحتى ذاتي المركز أي أنويّ والذي يأخذ عندئذ معنى لكل منا ، والذي يعيد كل شاعر بناءه بطريقة حاسماً به في نكهته الخاصة . اللذة الشعرية عند القارئ ليست شيئاً آخر سوى التذوق ، التلذذ بتلك النكهة .

وهكذا فإن الشعر والفن هما من طبيعة متميزة ، ولكنها ممتزجان بصورة حميمة في خلق الأثر الأدبي . ويمكننا أن نقول أكثر من ذلك : إنه يوجد بين الواحدة والأخرى جدلية أوديكالتيكية ثابتة ، ومأمورة من ناحية أخرى بواسطة نظام أو ترتيب طبيعي : لأن الشعر يأمر والفن يطيع . غير أن هذا بدوره يبعث إلهامات جديدة وهكذا حتى النهاية وعلى شتى المستويات في آن واحد .

وبالنتيجة فإن كل شيء مرتبط بالعملية الخلاقة أو المبدعة ، وإن كل تمييز بين الشكل والمضمون يكون متمحكاً وضاراً بالفهم للنص أو الأثر الأدبي . وحالما تنبثق الشراة ، فأنها ستترك آثاراً في كل مكان ، إنها تحرقه في آن واحد الشكل والمضمون ، الداخِل والخارج ، الأفكار ، الصور ، الكلمات والأصوات تدخل في انصهار ، تتمدد ، وتطول وتغدو طروقاً أي قابلة للطرق . عندئذ يمسك بها الفنان لنفسه يعجنها ويشكلها ويخرج منها شيئاً فشيئاً هذا الأثر الفني والذي شكله الخارجي ليس إلا الصدى والانعكاس لشكل داخلي والذي يتصمم عليه ، والذي هو في الأساس أو من حيث المبدأ حيوي ثم يغدو جهازاً حياً .

الغنائية والشعر

في الجذور الأولى ، كان يبدو أن كلمة أدب وشعر تختلطان ، في آن واحد ، أنشودة ونغمة وعدداً . هذا يعني أنهم لم يكونوا في ذلك الحين يفصلون الطبيعة عما هو فوق الطبيعة : وحتى ربما كانوا يعرفون بصورة فطرية القوانين الخفية التي تجعلها تتطابق الواحدة مع الأخرى . إن الشعراء يختلفون فقط فيما بينهم من حيث الطبيعة والشخصية ، وينطلقون من الموضوع ، الذي يقترحونه على ذواتهم . هذه الحقيقة غير الموضوعية ، هذا العرض أو الاسقاط للعالم على النفس والذي عرفناه عما قليل بأنه

كون الشاعر ، إن هناك من سيذهبون محاولين التعبير عنه بصورة مباشرة ، كما يحسون به ، أي بما معناه حسب نكهته العاطفية أو الشعورية ، وهؤلاء سيكونون بالتحديد « الشعوريين » من الناحية أو الصبغة الأولية والعفوية ، سيعنون أحاسيسهم ، وسيغسلون قلوبهم أي ييوحون بأسرارهم واقفين لتأمله بأرتياح . إنه توقف تأملي في نفس الوقت إنه بوح ، وهكذا أيكثنا أن نعرف الغنائية بذلك .

إن آخرين ، أكثر ثانوية ، وهم مثقفون سيعبرون عن العالم كما يفهمونه ، أي بما معناه بصورة غير مباشرة مسقطين رؤياهم للعالم على شخص خاص خارجية أي أجنبية عليهم : إنهم الشعراء الملحميون .

وأخيراً ، عند واحد آخر ، سيكون القلب أو العقل هما من سيرفع الصوت أقل من غريزة الحياة ، الطاقة ، الارادة ، باختصار الجزء الأكثر نشاطاً من ذاته . هذا سيختار المأساة للتعبير ، سيعيد خلق العالم كما يعيشه ، بأزماته ونضالاته . إن ابن ديونيسيوس ، سيجري اشاراته أو إيماءاته في المأساة وسيعرض أو يسقط عليها ارادته ذات القوة . وحسب الحاجة كأينجيل ، سوفوكل ، شكسبير ، مولير ، وبومارشيه ، سيجعل من نفسه ممثلاً ، إن لم يكن قد بدأ من هنا وهكذا فإنه سيوضع « أي يجعل موضوعياً » الواقع غير الموضوعي الذي يحمله في ذاته ، دون أن يتوقف هذا الواقع عن أن يكون غير موضوعي ، أي بما معناه بصورة خالصة شعري « الطابع » .

والحالة هذه فإن كل حضارة تبدو بوضوح في تطورها التاريخي ماضية من حالة أصلية أو بدائية لعدم التباين النسبي نحو تباين أو تمايز ، وتخصيص أو تخصص في تنام مستمر ، حتى أن فرط التمايزات أو التفارقات يقود إلى تجزئة أو تفتت ينتهي بأن يكون قاتلاً . وهذا يصر على أن تكون ضرورات الحياة تفرض شروطاً موضوعية أكثر فأكثر ، وتأقلاً أكبر فأكثر مع الواقع . وهكذا فإنه في الابداع الأدبي ، المتطلب الشعري الخالص والذي يبدو أنه يسيرها أو يأمرها ، سيتوجب في الأصل تدريجياً أن يترك مكاناً لمقتضيات من نظام آخر ، وفي نفس الوقت الذي تتوقف فيه الرؤية لواقع غير موضوعي تغذي منه وتقريباً بصورة محصورة أو مقصورة في البدء . وعبر العصور ، سيغدو الأدب

شيئاً فشيئاً مهنة ، أو أحسن من ذلك سيتوزع بين أكثر من مهنة والتي سيرتبط تطورها حتى بالأبنية للمجتمع المكتنف والجماهير المتعددة .

عندئذ إن الشاعر بالمعنى الدقيق سيتترك مكاناً للكاتب . وإن أنواعاً أدبية جديدة ستولد من التراضي أو التسوية بين الاتجاهات أو الميول الأساسية للطبيعة الانسانية ولأوامر المجتمع . أي مقتضياته .

إن هذا لا يعني أن الشاعر سيختفي من على المسرح الأدبي . ولكننا سنخلط أكثر فأكثر بين الشعر والغنائية ، والشعر الذي قد كان في الأصل كل الأدب ، سوف لن يكون إلا نوعاً بين أنواع أخرى . سوف لن يكون إلا نوعاً مخلوعاً ، ومن ناحية أخرى وفي معظم الأحيان لأنه سوف لن يعثر من جديد على دوره أو مهمته في المجتمع ، آخذاً بذلك وجه أب فقير ، وحتى الشاعر نفسه بذهابه حتى إلى الاعتراف أو الاقرار في بعض الأحيان كـ « مالهيرب » الذي يصلح كلاعب الأوتاد أي « البولينغ » .

إذن سيتوجب انتظار انحطاط أو زوال هذه الحضارة حتى - كما في أيامنا هذه - يجد من جديد سمعته أو مركزه في نظر عدد محدود أو صغير ، بأخذه موقف المغامر أو « المتني » « البني » ، ولكن ستغمر صوته ضوضاء الجمهور وزئير الكوارث الأولى .

الفعل الشعري

هل هذه الظروف الاستثنائية قادت الشاعر الحديث على الأقل إلى البدء بمشروع عودة إلى منابع الشعر وإلى أن يبحث ثانية فيما وراء التزييفات والتمازجات غير النقية - والتي كان ضحية لها منذ عصور طويلة - عن ظروف نقائه الأعظم . بعد الرومانسيين الألمان ، انهم - إننا نعرف ذلك - الرمزيون الفرنسيون ومن خلفهم الذين عرفوا كيف يقتربون على نحو أفضل من سر الفعل الشعري وحاولوا أن يعرفوا واقعه المعقد .

وحقاً يتمكن من أن يكمل ذاته ، فإن الفعل الشعري يفترض أولاً حالة خاصة ، حالة مشاركة ، حالة لا تمايز بين الموضوع والأداة ، والذي يقلص إلى الانفعال النقي أو الخالص - « انفعال شعري بمعنى انساني » ، كما كان يقول دينيه غيل

- يتيح للشاعر أن يفهم العالم في واقعه غير الموضوعي ، القريب ، الحاضر ، ذو المذاق أو النكهة ، وأن يحسه في ذاته وأن يندفع به كطفل . إن حالة الحلم ، أو على نحو أدق حالة حلم اليقظة أي الهواجس ، حتى حدود الوعي واللاوعي ، كما وصفها بصورة - بصورة هي محط الإعجاب - روسو في « النزعة الخامسة » .

« إن ضوضاء الأمواج ، واضطراب الماء ، حينما أركز حواسي وأطرد من نفسي كل اضطراب آخر ، كانا يغوصان بها في حلم يقظة لذيذ . . . » .

ولكن الشعر ليس انفعالاً فحسب ، إنه الوعي بذلك الانفعال ، إنه يفترض موقفاً إدراكياً . تماماً كما الانفعال الجمالي ، يمكن أن نقول أن الانفعال الشعري يتضمن في ذاته طريقة معرفية ما . كان سان بول رو قد ألقى مقولة : « إن الشاعر هدفه الوحيد هو حدسه » . وكان « رينيه غيل » قد حدد ذلك على النحو التالي : « ما الحدس إذاً ، سوى نقطة تركيب أو توليف سريعة جداً ، لم تتمكن النفس من ادراك مصطلحاتها التحليلية المباشرة ؟ » إنها معادلة أو صيغة سعيدة ، لأنها تتضمن الميزتين الجوهريتين لهذا الحدس الشعري : التزامنية أو المباشرة أو الفورية التي تضعه كتنقيض للفكر الاستدلالي أي المنطقي - كما في أبيات رامبو :

“Elle est retrouvée.

» لقد عُثر عليها من جديد

Quoi? L'éternité.

ماهي ؟ إنها الخلود

C'est la mer melée.

إنها البحر ممزجاً

au Soleil”

بالشمس

والقدرة على البناء أو التركيب والتأليف ، كان مالارمي قد كتب إلى شارل موريس ، قائلاً : أي عبقرية أن يكون « المرء » شاعراً ، وأي صاعقة سليقة أسيرة ! : ببساطة إنها الحياة العذراء ، في توليفها تضییء كل شيء . إن الهيكل أو البنية الفكرية أو العقلية للقصيد تتخفى وتثبت - تتم - في المكان أو بين الحيز الذي يعزل المقاطع الشعرية وبين بياض الورق : إنه صمت له معناه وإنه ليس أقل جمالاً أن يؤلف المرء إلا الأبيات » .

وأخيراً إن الفعل الشعري ، لا يدري كيف يدرك ذاته خارج اللغة : إنه يتم نفسه في وب ، إنه لا شيء بدون التعبير أعني العبارة : ولكن أي لغة هذا يعني ؟ من المؤكد إنها ليست التي نستخدم في العادة . أو بل هي نفس الكلمات ، ولكنها محورة ومؤنقة أو مجملة . « هذه الحروف استصرخ رفايل لامارتين ، يمكن أن أقول إنه فيما يخصني لقد كنت أقاوم كيائس وكيعقوب مع الملاك ، ضد الفقر ، وصلابة ومقاومة اللغة والتي كنت مجبراً على استخدامها ، لجهلي بلغة السماء » .

إذاً هناك لغتان بصورة فعلية ، حالة مزدوجة للكلمة ، فهنا فظٌ أو مباشر وهناك جوهري . « هناك لغة « التقرير العالمي » ، ومن ناحية أخرى هناك البيت الشعري الذي هو أكثر من مفردة يصنع ثانية كلمة كلية ، جديدة ، غريبة على اللغة وكتعزيمية » . ومن هنا فإن الشعر يقترب من الموسيقى . إن الشعر يجب أن لا يعين ، ولكن عليه أن يقترح . ولكي نترجم حالة مشاركة تنجو بنفسها من التحليل ، فإن لغة المنطق ، التي تصف علائق واضحة ، وتحافظ على المعنى نفسه في مختلف أشكاله ، هي لغة عاجزة : فلا بد من لغة ذات قيم متعددة ، قادرة على أن تقترح علائق متضاعفة ومباشرة .

وبذلك فإن هذه الوجوه الثلاثة لا غنى عنها في الفعل الشعري وهي مترابطة على نحو لا يمكن الفصل بينها فيه : دون الانفعال لا يوجد شاعر ؛ ودون العبارة الاقتراحية لا وجود للشعر ؛ ودون الحدس أو التنبؤ لا احتمال للتوافق بين هذه وتلك . وانطلاقاً من هذا فإنه زيادة على ذلك لن يوجد توافق بين الشاعر والقارئ .

الثلاثة الأبعاد للشعر

إن العبارة أو التعبير الشعري في حد ذاته معقد ، سواء في طبيعته أو في المادة التي يستخدمها ، اللغة ، وبصورة محددة في الحدود أو الاطار الذي يعثر فيه على جزء على الأقل من قدراته ، لأن الكلمة يمكن أن تكون فكرة ، صورة ، وصوتاً في آن واحد ، والشعر ينطلق في نفس الوقت من الأدب والرسم والموسيقى :

أ - من الأدب ، فلأنه مهما فعل الشاعر فإنه يستخدم كلمات لكل الناس .
يمكنه أن يرقق أو يلطف المعنى لكلمة ، والقاعدة أو النحو في جملة : إنه لا يمكنه أن
يختزعهما تماماً ولا أن يحذفهما كلياً . إن حالتين محدودتين قد استثنيتا بصورة عملية من
ممارسة الشعر . إن شئنا أم أبينا فإن ما يتبع أي أن تكملة الكلمات التي تكون قصيدة
يبعث في نفس القارئ مجموعة من المفاهيم ، يمكننا تسميتها المعنى الفكري أو
التصوري الخيالي لهذه القصيدة .

ب - من الرسم ، بالتأكيد إن الشعر يجب أن يمثل ، أن يرى . ولكن إذا كان
للكلمات في كثير من الأحيان أيضاً سلطة من حيث الصور أو التصوير ، فإنها لم تكن
من أجل أن تقلد بل من أجل أن تبدع . « إن الخيال هو ملك المهارات أو القدرات » ،
قال بودلير : إن باهمالنا لهذا الغرض الجوهري ، فلن يعود هناك وجود للشعر ، لن
يكون هناك سوى ما نسميه بالشعر التعليمي أو باسم أكثر تبجيلاً ، الشعر الفلسفي
في حالة أخرى محدودة .

ج - من الموسيقى ، فلأن الشعر يتغنى به أو يتكلم به ، إن الكلمات مكونة
من أصوات ، وإن الجمل مكونة من نغمات . إن الشعر موسيقى . وإن إهمال هذه
الموسيقى معناه أننا نقلص الشعر إلى نثر : وهذه أيضاً حالة محدودة أخرى .

وسوف لن يكون بمقدورنا أن نتجاهل ودون محاسبة أو عقاب الواحد أو الآخر
من هذه الوجوه المكونة لأي شعر : صوري أو فكري ، بلاستيكي وموسيقي . إن
للشعر أبعاداً ثلاثة . أن نحذف واحداً منها معناه أن الشعر سيفقد رونقه ، وعمقه ،
وإننا سنقع في التسطیح . وإنه بفضل الثلاثة الأبعاد هذه قد اكتسب الشعر تعددية
القيم . ولكن يتوجب أن يوجد في كل قصيدة توافق فيما بينها (أي الأبعاد) . لا بد من
وجود انسجام محقق ، هذا الانسجام الذي يعتمد عليه نجاحها .

□ □ □

دبين الفكر والفن

محمد الفارس

هم، الإنسان».

«هلدرلین»

وقصيدة الوجود التي
هي الإنسان».

يرى هيدجر أن الإنسان، قد تشتت في الأشياء الجزئية، ونسي (الوجود العام)، وحقيقة (وجوده الخاص)، وتحولت ذاته الحقيقية إلى ذات مزيفة تفكر بدلا عنه.

ويصبح الإنسان مغتربا.. منفصلا عن الانسان.. متقوقاً في داخل ذاته؛ نتيجة الغرق في التكنولوجيا التي تسيطر عليه، بدلا من أن تعينه في السيطرة على العالم، وكذلك نتيجة الغرق في لغة الحياة اليومية (لغة البيع والشراء)؛ ونسي أن اللغة إعلان بحقيقة الانسان.

ويحدث الانفصال والتفوق - أيضا - نتيجة غرق الإنسان في (الحشد)، الذي يفرض عليه آرائه وقيمه، فتحاول الذات الجديدة - غير الأصيلة - التكيف مع هذا الحشد، ولذلك تصبح رسالة الفن الخروج من الأشياء الجزئية، والوصول إلى كل ما هو كلي وجوهري .

وفي كتابه (هيدجر راعي الوجود) يقول شاعرنا العربي مجاهد عبد المنعم مجاهد أن العمل عند هيجل يؤنس الطبيعة من ناحية؛ ويوحد بين البشر من ناحية أخرى؛ أي أن الإنسان يتموضع، فيخرج ما في ذاته ويجسده في العالم الخارجي، وكما يقول مجاهد في كتابه . . فإن الموضوع أو الشيء . . بعد الموضوعة والمتموضع . . يستقل عن الإنسان، وينفصل عنه، وتصيح له قوانينه الخاصة، وتتوقف براعة الانسان على استخدام هذا الموضوع بعد انفصاله عنه لصالحه، فإن نجح في ذلك أصبح الإنسان الكامل . . وهو يتسيد على الشيء . أما إذا لم يتمكن . . فإنه يفقد ذاته، ويصبح شيئا ؛ أما الشيء فيكتسب ذاتا ويتسيد على الإنسان .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إن الاغتراب ظاهرة مزدوجة . . تفضي إلى التكامل . . أو إلى التشتت، والقضية الرئيسية هي إخراج الإنسان من (الحشد)؛ بتعديل مواقف الحشد من الذات الإنسانية كما يرى هيدجر .

التكشف وإزاحة الحجاب :

ويقول د . زكريا إبراهيم في (فلسفة الفن في الفكر المعاصر) أن العمل الفني شأنه إزاحة النقاب عن (حقيقة) وجود الموضوع، ولذلك تقاس عظمة الأعمال الفنية بقدرة الفنان على الاختفاء وراء عمله، وكأنما هو مجرد مرحلة عابرة يجتازها العمل في سبيله إلى التفتح أو الانكشاف .

جواهر الحقيقة :

إن هيدجر يرفض القول الأرسطي بأن الحقيقة هي تطابق الفكرة مع الواقع ، ويقول أن (فكرة التعود) تنطبق على الورقتين المائتين الصحيحة والمزيفة معا . ولكن الصحيح عند هيدجر ، أن كلا الورقتين ستكشف بنفسها عن حقيقتها ؛ فالحقيقة كامنة في الأشياء . . والحقيقة تعني الكشف . . وإزاحة الحجاب . فالصراف عامل مساعد لكشف الحجاب عن الورقة الزائفة . وكشف الأشياء عن حقيقتها يعني : الحرية . . حرية الحقيقة وليست حرية الأفراد ، فالحرية أن تكشف الحقيقة عن جوهرها ؛ وجوهرها هو «وحدة الزيف والحقيقة» .

الفن كامن في الطبيعة :

الفنان - كما يقول زكريا إبراهيم - لا يخلق الحقيقة التي ينتزعها من مكنها ، لكي يظهرها لنا بكل وضوح في عالمه الخاص ، وإنما يستقدم الحقيقة من طوايا الأرض ، لكي يذيعها على الناس في صورة (عمل فني) هو بمثابة (عالم إنساني) قائم بذاته . ولعل هذا ما عبر عنه المصور الألماني ألبرت دورر حين قال (إن الفن كامن في الطبيعة ، وكل من يستطيع انتزاعه منها لا بد من أن يصبح قديرا على الاحتفاظ به) .

إن الفن كما يرى كامى لا يمكن أن ينطلق من التمرد المطلق ، لأن الواقع لا يمكن التهرب منه تماما . ولكن الفن يعلمنا : الوحدة والحقيقة التي ينطوي عليها الواقع في جانبه العذري أي الجمالي . . ويتساءل د . زكريا إبراهيم ماذا عسى أن تكون القيم التي دافع عنها كل المصلحين عبر التاريخ إن لم تكن الحرية والكرامة التي عبر عنها أمثال شكسبير وسرفانتيس ومولير . . وتولستوى وغيرهم ؟

ارتباط الفن بالفكر :

(في الشعر) يقول أرسطو (عن أبي بشر متى / تحقيق د . شكري عياد / القاهرة ١٩٦٧) أن الشعر اوفى حظا من الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ ، لأن

الشعر يروي الكلي بينا التاريخ يروي الجزئي . والفن - عند أرسطو - مرتبط دائما بالفكر ، والفن - أيضاً - حدث . . فعل ؛ وغاية الفعل تحقيق التناغم . . أي تحقيق الجمال كمبدأ أول للعمل الفني .

الفن هو المستحيل الممكن :

يقول أرسطو - كما يذكر مجاهد عبد المنعم في (دراسات في علم الجمال) - أن الفن هو المستحيل الممكن ، القائم على ذكر الأسباب ، والذي مبدؤه من داخله في تسلسل منطقي لإبراز الكلي ؛ والكلي عند أرسطو هو الضروري والرجحان أو المحتمل ؛ وفي هذا يكون الشعر أكثر ارتباطا بالفلسفة .

وفي كتابه (الطبيعة) يقول أرسطو أن المحاكاة هي إيجاد ما لم تستطع الطبيعة إيجاده على النحو الذي يمكن أن توجده الطبيعة عليه لو أنها أنجبته ، أي أن الفن إضافة للطبيعة وليس مجرد محاكاة عمياء لها . وأن هذه الإضافة هي البحث عن الكمال الإنساني من خلال الفعل ، والتعبير عما يجب أن يكون ، وهذا فإن الفكر في بطانة الفن . (في الشعر) يقول أرسطو أن العمل الفني ليس نقلا للواقع ، إنه نقل للإنسان .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أجمل مخلوقات الطبيعة :

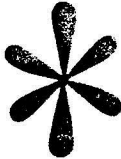
ويرى هيجل أن الإنسان أجمل منتجات الطبيعة ، وأكثر الكائنات تعبيرا عقليا ، وإن كان أرسطو قد قال بأن الإنسان أنبل مخلوقات الطبيعة ، فإن هيجل يقول . . بل إنه أجملها ؛ لأنه يمتاز عنها بالعقل ، وبالقدرة على التعبير عن أفكاره من خلال اللغة والفن .

الفكر نقطة انطلاق الفن :

يرى أرسطو - كما يقول مجاهد عبد المنعم - أن الفن هو التطهر ، فالفن يجعلنا

نتأرجح بين (الخوف) و(الشفقة) نتيجة أن (بطل العمل الفني) في منزلة بين المنزلتين. ونحن كأفراد نظل - كذلك - في منزلة بين المنزلتين، حتى نتبين مصير البطل... وهذا يطهرنا. . إنه يحدث لنا تغيراً عقلياً.

فإذا تذكرنا أن نقطة انطلاق الفن هي الفكر، وأن الفن يقوم على الضرورة، أدركنا أن الهدف من التطهر، هو أن يحدث انقلاباً. . في تفكيرنا إزاء الحياة.



شعر
علي السبتي

[illegible]

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

http://Archievebeta.saknrit.com

أتعرف كم مرت عليك سنون
وأنت تداري ... ما لديك عيون !
تمر الليالي لا تحس بوئها
وتشرق شمس .. والنهار شجون
وأنت كما قد كنت طفلاً يغرّه
نفاق مداحٍ في العروق مكين
ويستكلب الخل الذي أنت صدره
وما كل خلّ في الصعاب أمين
مررت بأيام أرتك عجائباً
وما زلت هذا أنت .. حيث تكون

كأن لم تكن في ذات يوم تديرها
على جنبات ما هن سكون!
فان شئتها صارت فراش ملذة
وإن شئتها فهي الجنون فنون
ألا هل عم فيما أرى يستفزني
بلى .. يُستفز العقل وهو رصين!
بلى .. تُستباح النفس وهي عصية
وقد ترخص الأشياء وهي ثمين
وقد لا ترى لحداً يضمك قبره
ولا ماء عند الغسل وهي عيون!
خبرت زمان القهر ما انهد شامخ
دهته سنون بعدهن سنون
ورب سنين قادمات أليمة
وما أنت دارٍ بالذي سيبين
اتخلف الأشياء عما يرى بها
أم ازدحمت ... في ناظريك ظنون

ألا حدث الآتين بعدي بأنني
على غير ما لا أشتهيه أكون
فما كل شيء تبتغيه بكائن
وما كل شيء تشتهييه يكون
هو العمر إما ساعة تستسيغها
وإلا فعظم في التراث دفين!

حاشية لشوب الحمداد

مرثية
شعر /
محمود الشلبي

ARCHIVE

مَاتَتْ أُخْتِي بَيْنَ رَيْنِ السَّاعَةِ وَالْمَحْرَابِ .

مَاتَتْ بَيْنَ شَهيقِ الرِّيحِ ،

وَطَعْمِ الشُّجْعِ ،

وَصَمْتِ التُّرْحَابِ .

مَاتَتْ وَالْحَسْرَةُ فِي دَمِهَا . . .

وَالْكَبْدُ الْحَرَّى

مَا فُتِّتَتْ تَتْلِيْفُ خَيْطًا خَيْطًا . . .

وَتُسَمِّعُهَا الْأَعْصَابُ .

مَاتَتْ وَهِيَ تُهَاتِفُ صَحْوَتَهَا . . .

عَبَّرَ خُطُوطُ الْوَجَعِ اللَّهَابُ .

كَانَتْ مُحْنُهَا أَوْسَعَ مِنْ لَوْنِ الصُّفْرَةِ،
فِي عَيْنَيْهَا الطَّافِيَتَيْنِ بِبَحْرِ سَرَابٍ .
وَالْجَسَدُ الْمُتَدَاعِي لِلْمَوْتِ . .
تَعَلَّقَ كَالْجَذْعِ الْيَاسِ .
فِي الْمَوْجِ الصَّنَخَابِ .
مَا خَامَرَهَا الْيَأْسُ فَوَاعِجِباً
كَيْفَ يَكْفُ الْقَلْبُ عَنِ الْحَقَّقَانِ
وَلَا يَرْتَابُ؟!

كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ الْهُوَّةَ بَيْنَ الصَّدْرِ،
وَبَيْنَ الْقَبْرِ،

تَضِيقُ تَضِيقُ،

وَأَنَّ الْوَرَقَ الذَّابِلَ

يَسْقُطُ يَسْقُطُ،

بَيْنَ سُرِيرِ الرَّهْبَةِ وَالْبَابِ .

●●*

قَدْ جَفَّ الزَيْتُ مِنَ الْمِصْبَاحِ الْآنَ . . .

وَنَاسَتْ فِي الدَّرْبِ دُبَالَتُهُ . . .

فَانْطَفَأَ الْمِصْبَاحُ عَلَى مَهْلٍ . . .

وَانْكَمَشَ الظِّلُّ،

فَصَدَّقَهُ النَّاعُونَ،

وَحَانَتْ سَاعَتُهُ . . .

هَذَا الصَّمْتُ ثَقِيلٌ . . .

يُسَعِّفُهُ الْمَوْتُ التَّدْرِيجِيَّ،

وَيَدْعُوهُ الْقَدَرُ الْحَتْمِيَّ . . .

فتوحات الجسد الم رابط و حده

شعر / حسن النجار

هذا الصباح شربتُ ماء الرافدين
وقلتُ للجسد الذي يتأبط الأنهار:
هذا الطمى نعرفه،
ونعرف أنه في النيل كان مقام أغنية
وكان لنا مناداة الجميلة
إذ يطول غيابها.
وأنا الذي ناديتُ
ألقيت القصائد جملةً في حضرة الشعراء،
قلتُ تلمنا أشعارُنا:

حين اختليتُ بوردة الأنهار
لم تُحسنْ يداى اللمس،

فانفجر الدم النيليُّ تحت مواطيء
الرئتين ..

سيدتي أنا أجلتُ موتي كي أرى
عينيك تغتسلان من وجعٍ ،
شربنا خمر الوادي الذي جُبنأه
ثم أقمتُ في جسدي حضارة عشقه
وشددته نحوي

ألامس شعبه يمشي إليّ ،
فترتقى أرضاً موطأةً لخليل عناقنا
ودعوت أهلي كي يروا جسدي يهْمُ
إلى ملاقة الجميلة ..

كان صوتك هارباً مني ،
وصوتي مُهرةً أطلقتها في مسح
الخليل المرابطة ،

احتويتك في دمي مطر السخونة
واتكأتُ على ذراع الجنْد ..
آه تواصل مدداً ،
وكوني رعشة الجسد المرباط وحده شرراً .

إنني المتواصل الموصول بين اللحم والسيف ،
احتويتك في دمي مطر السخونة واتكأتُ
على ذراع الجنْد ..

يا امرأة تباع نسلها الشعراء
أولد أو أموتُ
وأنتِ سيفُ أبي وسيفي .

كان صوتك هارباً مني ،
وصوتي مهرةً ، ويداي طرُق الريح فوق
دراك الأنهار . .

أدخل في لباس العرس محتشداً
ألفك في حشائش لحمي البراق ،
قلتُ تلمنا أعراسنا :

كان صوتك هارباً مني ،
وصوتي غرغرات اللحم في الطرق المنادة ،
انتظرتكِ في قرى جسدي المقيم على أسرة
عشقه ،

قومي اليّ ، أنا المرباط في هوى الأشعار ،
أرسم نيلك الشجرَ المقاتلَ
ثم يشربني المدى .

منازل
صغيرة

[illegible]

(c)

شرفه الجرح

نساء . . . ومقهی . .

ومكتبة قرب قلبي

سأكتبُ عن حالة ترتديني ..

وكنْتُ أريدُ الخروجَ عليها . . .

فهل أذكر الشعر ،

وهو يعود حزينا

الى البيت قبل الصباح ...؟

سأذكر غدر الذين على سقف قلبي

استراحوا...

زماناً من الموت والغربة المظلمة . . .
انني وهمومي انتشرنا
على دهشة الجرح
والحلم يترك أوجاعه بيتنا . .
ربما تصطفيني الفراشة
من لوعة الانكسار
فأغمض جفن المتاعب ليلاً . . .
وأركض حتى الثمالة
في متعة الكأس . .
والخضرة النائمة . .



(٢)

أول الشهداء
ARCHIVE

قبر لوردة عاشقي
<http://Archivebd.Sakna.com>

والخيل يأخذها البكاء . .
لا تفسحوا للحلم
ان ينهد في وضح الزيف
هي الساء ،
تصيح من شرفاتها
والأرض . . من أشجارها . .
والموج يصعد في الدماء . .
لا تفسحوا للموت أن يرتاح
في شغف الشعاع

فترسُمُ الأشواكُ نشوتها
على النعناع
إن سحابة تكتظ بالنيران
تقدح شهوة الغرباء ..
فاعتصموا بخبز ترابكم
وإذا ابتليتم بالعناكب
- أيها الفقراء -
فاغتسلوا ..
بشعلة أول الشهداء ..

(٣)

خمرة الواقعة

في الطريق الى العاصفه ..

تحلم الوردة الراحقه

أن ترى صوتها

- في عراء الجهات

وفي جوعها -

يشعل الاسئلة ..

في الطريق الى العاصفه ..

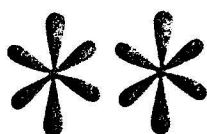
مطر يابس ،

ومراعي دم ،

وجياد راجفه ...

هل نُعبىء أشعارنا للذرا ؟

حين تشربُ ناركِ ،
من خمرة الواقعه ..
سوف يحترقُ الوقتُ بالماءِ ،
والروح ... بالزوبعة ...





شعر
محمد علي الرباوي



کانِ مِثْلِ .

تَعْرِفُ الْأَرْضُ صَفَةَ الْمَحْرَقَةِ الْعَطَشَى خِيُولَهُ .

كان مثلى ضائعاً يسكنه رهب الشوارع .

سَمَّتْ كُلُّ الْمَقَاهِي جُسْتَه

فَارْتَمَى فِي جَوْفِ نَارٍ

أَجَجَّتْهَا مَوْهَنَا أَشْجَارُ ذَاتِهِ



كان مثلي ضائعاً .

لَكِنَّ رِيحاً صَرْصَرًا عَاتِيَةً

- ذاتِ صباح - قَلَعْتُ كُلَّ جُذُورِهِ .

* القصيدة من مجموعة شعرية قيد الطبع عنوانها « البيعة المشتعلة » .

فَبَكَتُهُ الْأَرْضُ صِفَّهُ .
وَبَكَتُهُ نَدْمًا تِلْكَ الْمُقَاهِي وَالشَّوَارِعُ .
أَهْ يَا كُلَّ الْمُقَاهِي وَالشَّوَارِعِ
احضنوني . .
فأنا كالصاحب الضائع ضائع . .
قد تَبَتَّلْتُ إِلَيْكُمْ زَمَنًا
لَكِنَّ هَذَا الْحَيْرَةَ الْوَهْمِيَّ
سَدُولٌ مِنْ سُعَارِ الصَّيْهَدِ الْقَتَالِ
تَمْتَدُّ حَوَالِي . فَمَنْ يَغْتَالِ وَعْثَ التَّيْبِ فِي ذَاتِي . . ؟
وَمَنْ يُخْرِجُنِي مِنْ ظِلْمَاتِي . . ؟
أَهْ ! مَنْ يُخْرِجُنِي الْيَوْمَ إِلَى أَنْوَارِ هَذَا الْمَلَكُوتِ . . ؟

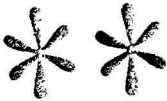
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhr.com>
مُنْهَكَ دَاهِمِي صُبْحُ
بَعِيداً عَنْ سَمَاءِ الْحُبِّ
بَيْنَا جَسَدِي أَدْفَعُهُ بَيْنَ دُرُوبٍ وَدُرُوبٍ .
نَشِبْتُ عَيْنَايَ مَا بَيْنَ وَجْهِهِ وَوَجْهِهِ .
كَانَ وَجْهُهُ وَسَطَهَا .
أَرْسَلْتُ نَحْوِي قِسْمَاتٍ حُلُوءَ
هَزَّتْ تَضَارِيسَ كِيَانِي .
زَلْزَلْتُ كُلَّ خَلَايَا جَسَدِي . . .
يَا أَنْتَ أَخْرِجْنِي مِنَ الْوَحْشَةِ وَالْخَوْفِ وَقُلْ لِي
كَيْفَ مِنْ غَيْرِ وَدَاعٍ سُحِبْتَ رِجْلَاكَ مِنْ هَذَا الشَّوَارِعِ ؟



ضَحِكَ الصَّاحِبُ مِنِّي .
 أَخْبَرْتُهُ قِسْمَاتِي .
 بِحِكَايَاتِ ضِيَاعِي .
 ثُمَّ أَعْطَانِي ظَرْفًا وَأَنْصَرَفَ .
 آه ! مَاذَا فَيْكَ يَا ظَرْفُ ؟
 أَدُنِّيَا ؟
 (وَأَنَا خَطْوِي قَرِيبٌ مِنْ شَفَاهِ اللَّيْلِ)
 أَمْ لُغْمٌ
 (عَسَى يُحْرِقُ هَذَا اللَّغْمُ أَوْصَالَ ضِيَاعِي) .



الصَّدَى اللَّحْظَةِ يَمْتَدُّ امْتِدَادَ الْآهِ فِي كُلِّ الشُّوَارِعِ .
 وَأَنَا فِي الدَّرْبِ ، هَذَا الْوَعْبِ ، نَفْسِي ارْتَطَمَتْ .
 فِي جَسَدِ الرَّعْبِ ارْتِطَامًا .
 أَفْتَحُ الظَّرْفَ ؛ فَلَا دُنِّيَا ! وَلَا لُغْمٌ !
 وَلَكِنْ ، هُوَ شَيْءٌ كَالْخِزَامَى
 جَثَمَتْ فِي جَوْفِهِ هَذِي الْعِبَارَةُ :
 دَارَةُ الْأَرْقَمِ تَدْعُوكَ : انْسَحَبْ مِنْ ذَاتِكَ الظَّمَايَ
 ادْخُلِ الدَّارَةَ أَنْتِ الْأَرْبَعُونَ .



ثلاث قصص قصيرة

محمد سمارة

١ - ظمأ
الى السرقة وهو جائع ؟ وهمست : أية
جرأة هذه ؟!

ورأت من خلال النافذة ظلاً يسقط
على باب المطبخ ، خرج بعدها اللص ،
فزعتها قامته الفارعة وخفة حركته . خطا
باتجاه الغرفة الاخرى ، وأمسك مقبض
الباب ، واذا وجده مغلقاً عاد ثانية ، وكان
يتلفت بحيرة . واستطاعت المرأة أن ترى
وجهه بوضوح فادهشتها وسامته المفرطة .
بعد قليل صعد الى السطح ، وسمعت
المرأة وقع خطواته فوق رأسها . ثم عاد
ليهبط من جديد ، ويجلس على عتبة
المطبخ يدخن بصمت وقلق . طفقت

استيقظت المرأة في منتصف الليل
فرعة . أضاءت المصباح ، وتسمعت الى
الحركة التي صدرت من مكان ما في
البيت . ازداد خوفها . نهضت وتأكدت
من اغلاق باب غرفتها ، وأدركت كم هي
محتاجة الى رجل يبعد عنها الخوف وظمأ
الحياة . مكثت في فراشها منكمشة .
أرهفت السمع ، فأتضحت حركة صادرة
من المطبخ . حركة تدل على أن يبدأ ترفع
غطاء القدر ، وتعبث بالملاعق
والصحون . استغربت أن يلجأ اللص



المرأة تتأمله باسمه وقد تبدد خوفها ،
وخامرها احساس بالشفقة ، وتمنت لو
يعرف انها هنا .

مضت فترة طويلة وهو يدخن ، وينظر
بشروء الى لاشيء . وحين انتهى من
السيجارة الخامسة ، نهض واقفاً وتسلق
السور الواطى . وغادر البيت بهدوء .
اطفأت المرأة ضوء الغرفة ، وتدثرت
بغطائها ، وأدركت كم هي قاتلة تلك
الوحدة !

في النافذة الخاوية ، وتناهى اليه ضجيج
السيارات وصخب السابلة ، فانقبض
صدره ، وتساءل كيف يمكن لفنان أن يحيا
في حجر كالفئران ؟

انفتحت النافذة واستطاع أن يسمع
الفتاة وهي تحدث أمها في الغرفة . ارتبك
قليلاً . وفكر بالتراجع لكنه وجدها فرصة
لاختبار عواطف الفتاة . وبأذنيه الحادتين
سمع الفتاة تخاطب أمها مبدية بعض
الملاحظات في شؤون بيتية ، وكان
يتخيلها تقف وسط الغرفة برداء خفيف
يكشف عن لحم أبيض وقامة هيفاء .
وقالت الفتاة : لكنه طيب يا أمه .
أجابت الأم : لكننا لم نعرفه بعد .

٢ - أوتار عاشقة

تلمس الأعمى طريقه الى نافذة
الغرفة . لفحته برودة الصباح والضوء
الباهر ، ولم تكن الفتاة التي ينتظر سماعها
قد أطلت من نافذتها بعد . عاد الى
موضعه ليحتضن آلة الكمان التي كان
نسيها لزمناً .

دوزن الأوتار ، فخرجت الأنغام
كالحنجرة الجريحة . شعر بالانقباض ،
وجهد ان يفهم لماذا تكون الأنغام مثقلة
بالوجع هكذا ؟

عاد الى النافذة محملاً بعينين منطفتين

وقبل أن يسمع جواب الفتاة . أثيرت
في الشارع زوبعة من الضجيج ، فلم يعد
في ميسور الأعمى أن يسمع شيئاً . لكنه
استطاع بعد قليل أن يصغي الى الفتاة التي
راحت تترنم مع الراديو بأغنية شعبية
مرحة . وهمس في سره : هل هي تحبني
هذه المجنونة !

عاد الى موضعه تملؤه الفرحة وطفق
يعزف اغنية راقصة . ولم يكن في مقدوره
أن يرى الشاب الذي وقف تحت نافذة
الفتاة يبادلها الحديث الهامس .

٣ - صداقة

تململ الرجل في فراشه متعباً . غادر
الفراش ، وأشعل سيجارة . وعندما
انعددت حول رأسه سحب الدخان طافت
في مخيلته أمنية صبيانية : ماذا يحدث لو أنه
يعيش في غابة ملتفة الأغصان ، وديعة
الحيوانات . مجرد غزلان وبيغاوات
وأرانب كالدمى الصغيرة . أو هو يتحول
بغمضة سحرية الى سمكة ملونة ذات
حركة انسيابية تغوص في الأعماق بين
الصخور والحشائش البحرية حيث لا
تنتظره شباك الصيادين . اكتشف الرجل
أن اصدقاءه هم ثوبه الضيق ووجعه

الأكبر . شعر بالاختناق ، فغادر الى
الباحة الخارجية لتستقبله مجموعة أصص
ذات أزهار ملونة . أحمر . أزرق .
أخضر . يا للجمال ! هل في الدنيا زهور
بلون أخضر ؟ قطف واحدة ووضعها في
عروة « الجاكete » . وتجوّل في غرف البيت
الموحش . أين يذهب ؟ كان الليل في
آخره . هطل المطر في الخارج ، وومضت
السماء كاشفة عن مجموعة بيوت ملونة
واطئة . وتمنى لو يخرج راكضاً في
الشوارع . وحيداً مع المطر . فتح جهاز
التلفزيون ، فظهر أحدهم يتحدث عن
استعداد العالم للاحتفال بعام ٢٠٠٠ .

ماذا يعني هذا الرقم ؟ أغلق التلفزيون ،
وتناول كأساً عبّ ما فيها ، ومسح فاه ،
وترأخى لا إرادياً على الكرسي ، فوجد
نفسه يطمس فيه بشكل غريب . ارتفعت
رجلاه الى اعلى كما لو أنه سقط في حفرة .
حاول الصراخ ، فاختنق الصوت في
حلقة . شقق دفعة واحدة ، ورفس في
الهواء ، دافعاً قوة لامرئية . وعندما
نهض ، واسترد وعيه ، كان الاصدقاء
مازالوا يتحلقون حول المائدة يناقشون
ماهية الحداثة في الشعر ، ولم يكن أحد قد
رآه وهو يتقيأ على السجادة النظيفة .

کلمہ شرف

ترجمها من الروسية :

د. حامد طاهر

رحمت أقرأ فيه ، ولم ألاحظ كيف حلّ المساء .

وعندما ضعفت عيناى من الزغلة ،
وأصبحت القراءة من الصعوبة بىكان ،
أغلقت الكتاب ، ونهضت متجهاً
للخروج ..

خلت الحديقة من الناس ، وفي
ممراتها ، راحت المصابيح تشعّ من آن
لآخر . ومن خلف الاشجار رن جرس
الحارس ولأنني خشيت أن تغلق الحديقة ،
مشيت مسرعاً جداً . وفجأة توقفت . فقد

يؤسفني جداً أنني لا أستطيع أن أقول لكم اسم هذا الصبي الصغير ، وأين

يعيش ، ومن هي أمه ، ومن هو أبوه .
وحتى في الظلام لم أتمكن من رؤية وجهه .
فقط أذكر أن أنفه كان به بعض النمش ،
وأن بنطلونه كان قصيرا ، لم يثبت
بحزام ، وإنما بحمالة تنقلب من فوق
الكتف ، وتزرر في مكان ما على البطن .

وعلى نحو ما ، توجهت في الصيف إلى
حديقة - لا أعرف كيف يسمونها - على
جزيرة « فاسيليفسكي » بالقرب من
كنيسة بيضاء . وكان معي كتاب ممتع ،

وصل إلى سمعي من خلف بعض
الشجيرات أن أحداً يبكي ..

انعطفت إلى جانب الطريق ، حيث
لاح على البعد بيت حجري صغير بلونه
الأبيض وسط الظلام : بيت حراسة أو
كُشك كذلك الذي يوجد في كل حدائق
المدن . وكان بقربه حائط ، وقف بجانبه
فتى صغير ، لا يزيد عمره عن سبع أو
ثماني سنوات ، وهو مطأطيء الرأس ،
ويتحب بشدة ، دون سلوى من أحد .

اتجهت إليه وناديته :

— أيها الصبي .. ماذا بك ؟

— لا شيء .

— كيف لا شيء .. من ضربك ؟

— لا أحد .

— ما الذي إذن يبكيك ؟

— كان من الصعب أن يتكلم ، وكذلك
أن يمسك بكل دموعه . وكان ينشج
ويفوق (من الفواق ، الزُّغطة) ، وينشق
بأنفه !

— قلت له :

— هيا نمضي .. أنظر ، فقد صار الوقت
متأخرا ، والحديقة تغلق ..

وأردت أن أجذبه من يده ، لكن
الصبي سحب يده بدون حرج قائلاً :

— لا أستطيع

— ما الذي لا تستطيعه ؟

— لا أستطيع السير

— كيف ؟ لماذا ؟ ماذا بك ؟

— لا شيء

— هل أنت مريض ؟

— لا .. صحيح بصحة جيدة .

— إذن لماذا لا تستطيع السير ؟

— أنا حارس

— أي حارس ! أي حارس !

— ماذا أنت ؟ ألا تفهم ! نحن نلعب ..

— آه .. مع من تلعب ؟

سكت الصبي ، وبلع ريقه ، وقال

— لا أعرف .

وهنا بدا لي أن الصبي ربما يكون
مريضاً ، وأن في رأسه خبالاً . وقلت له :

— اصغ إلي .. ماذا تلعب ؟ وكيف كان

ذلك ؟ تلعب ، ولا تعرف مع مَنْ ؟

— نعم ، لا أعرف . فقد كنت أجلس

على دكة في الحديقة وأقبل مجموعة كبيرة

من الأولاد ، وقالوا : « هل تريد أن

تلعب معنا لعبة الحرب ؟ » فقلت :

« أريد » . ورحنا نلعب .

قالوا لي : « أنت عريف » وكان هناك

ولد كبير أرسلني إلى هنا ، وقال : إن لدينا

مستودع بارود في هذا « الكشك » ،
وستكون أنت حارسه . فابق هنا ، ولا
تنصرف حتى لا أبدلك بشخص آخر قلت
له : « حسنا » . قال : « أعطني كلمة
شرف على أنك لن تذهب » .

— هيه . .

— وقلت : « كلمة شرف : لن أذهب »

— وماذا بعد ؟

— وها أنا ما زلت واقفاً . . واقفاً ، وهم
لا يأتون !

وابتسمت :

— حسنا . . وهم وضعوك هنا منذ وقت
طويل ؟

— كان النهار ما يزال . .

— ولكن أين هم ؟

— أعتقد أنهم مضوا . .

— كيف مضوا ؟

— نسوا . .

— ولماذا تجلس إذن ؟

— لقد قلت كلمة شرف . .

وأردت أن أبتسم ، لكنني تنبّهت فجأة
إلى أن الضحك في هذا الموقف لا يجوز ،
وأن الصبي على حق تماماً . فما دام قد
أعطى كلمة شرف ، عليه أن - يبقى مهما
حدث - ولو على حياته ! ويستوي بعد

ذلك أن يكون الأمر لعبة ، أو غير لعبة .
وقلت له :

— وإذا كان هذا قد حدث ، فماذا تصنع
الآن ؟

قال الصبي ، وقد بدأ يبيكي :

— لا أدري

أردت أن أقدم له أية مساعدة ممكنة ،
لكن . . ماذا أستطيع أن أفعل ؟ هل
أذهب للبحث عن أولئك الأطفال
السخفاء ، الذين وضعوه في الحراسة ،
آخذين منه كلمة الشرف ، وأسرعوا هم
إلى منازلهم ؟ لكن أين أجد هؤلاء
العفاريات ؟ ! لا شك في أنهم قد تناولوا
عشاءهم ، وذهبوا إلى الفراش ، ورأوا
عشرات الأحلام . أما الصبي ، فيجلس
هنا الساعات الطويلة ، في الظلام ، وهو
جائع حقاً ! وسألته :

— هل تريد أن تأكل ؟

— نعم . . أريد .

قلت بعد تفكير :

— حسنا ، أسرع أنت للمنزل لكي
تتعشى ، وسأبقى أنا بدلاً منك هنا .

وقال الصبي :

— نعم . . لكن هل هذا ممكن ؟

— ولماذا لا يمكن ؟

— إنك لست شخصاً عسكرياً

وهرشت قفاي ، وقلت :

— صح . . لن تذهب . . حتى أنا لا

أستطيع أن أكون بديلك الذي يمكنه أن

يقوم بهذا العمل شخص عسكري . .

قائد !

وفجأة قفزت إلى ذهني فكرة طيبة ،

واعتقدت أنني إذا حررت الصبي من

كلمة الشرف ، فإنني أحرره من الحراسة

أيضاً ، هكذا ينبغي أن يكون العمل .

لكن من الضروري الذهاب للبحث عن

شخص عسكري .

ولم أقل شيئاً للصبي . أبلغته فقط

« انتظر لحظة » وأسرعت بنفسي إلى مكان

الخروج .

لم تكن بوابة الحديقة قد أغلقت بعد ،

أما الحارس فقد ذهب إلى أقصى

الحديقة ، لكي يتصل من هناك بمركز

حراسته .

وقفت بالقرب من البوابة ، ولم يمر

بالقرب مني أي شخص عسكري : أي

ملازم ، أو حتى جندي من الجيش . وكما

يبدو لم يكن في الشارع أي شخص يرتدي

الملابس العسكرية .

وفجأة ظهرت في الجانب الآخر من

الشارع مجموعة من المعاطف السوداء .

فرحت ، وظننت أصحابها بحارة

عسكريين ، لكنني عندما عبرت الشارع

مسرعاً لم أجدهم بحارة ، وإنما طلاب

صغار في مدرسة صناعية . ومر رجل سكة

حديد طويل القامة يرتدي معطفاً جميلاً

جداً ، مزيناً بعلامة خضراء . لكن هل

كان من الممكن لمثل هذا الرجل أن يقف

ويستمع لي ؟!

أردت أن أعود للحديقة ، وجهي مثل

قفاي . لكنني فجأة ، لمحت عند الناصية

على محطة ترام « كاب » أحد القادة بإطار

أحمر . ويبدو أنني لم أفرح قط في حياتي مثل

فرحي في تلك اللحظة . واندفعت نحوه

بكل قوتي . لكنني مع الأسف لم ألحق

به ، لأنه كان أسرع مني في الصعود إلى

« الترام » .

وقفت على المحطة ، إلى أن أقبل

ضابط شاب ، برتبة رائد ، وكان يشق

طريقه وسط الجمهور المتجمع حول باب

العربة .

— وأسرعت إليه ، ممسكا بذراعه ،
وصحت

— رفيقي الرائد .. دقيقة واحدة ..
انتظر .. رفيقي الرائد !

والفتت إلي ناظراً باستغراب ،
وقال :

— ماذا حدث ؟

— هل تنظر ماذا حدث ؟ هنا ، في
حديقة ، بالقرب من « كشك »
حجري ، يجلس طفل صغير منذ
ساعات .. إنه لا يستطيع الخروج ، فقد
أعطى كلمة شرف .. إنه صغير جدا ..
إنه يبكي ..

قطب القائد عينيه ، ورنأ إلى بدهشة
أكبر . ربما ظن هو أيضاً أنني مريض ، وأن
في رأسي خبالاً .. لكنه قال :

— إنني هنا في عمل ؟

لكن « الترام » كان قد فاته ، فنظر إليّ
بغيط ، وانتهزت الفرصة فشرحت له
القصة بوضوح أكثر ، وعندما فهمها لم
يعد يفكر ، وعلى الفور قال :

— فلنذهب .. لنذهب بالطبع .. لماذا لم
تقل لي مباشرة ..

وعندما توجهنا إلى الحديقة ، كان
الحارس قد أغلق البوابة تماماً . وطلبت
منه الانتظار عدة دقائق ، وقلت له إن في
الحديقة صبياً باقياً ، واندفعنا - الرائد
وأنا - إلى داخل الحديقة .

وفي الظلام ، اكتشفنا بصعوبة البيت
الصغير الأبيض ، كان الصبي واقفاً في
مكانه بالضبط ، حيث تركته . ومرة
أخرى كان يبكي بهدوء شديد . ناديته ،
ففرح جداً ، إلى حد أنه صرخ من
الفرح . أما أنا فقلت :

— ها هوذا .. قد أحضرت قائداً .

واعتمد الصبي في وقفته ، ولكي يرى
القائد أفضل ، مدّ جسمه الصغير لأعلى
عدة سنتيمترات .. وقال القائد :

— أيها الرفيق الحارس .. أي رتبة
تحملها ؟

— أنا عريف

— رفيقي العريف .. آمرك بترك مركز
حراستك ، الذي عهد به إليك .

وسكت الصبي ، وحك أنفه ، ثم
قال :

— وماهي ربتك أنت . فأنا لا أرى تماماً

عدد النجوم التي على كتفك ؟

— أنا رائد

وعندئذ رفع الصبي يده مؤديا التحية العسكرية ، قال :

— حاضر .. رفيقي الرائد - بالأمر أترك نقطة الحراسة .

قال هذا بصوت مسموع ، وبمهارة بالغة إلى حد أننا لم نتمالك أنفسنا وانفجرنا في الضحك . وابتسم الصبي بسرور وارتياح .

وعدنا إلى باب الحديقة المغلق ، وانتظرنا عدة لحظات ، قبل أن يفتح الحارس لنا القفل المغلق .

ومدّ الرائد يده محيياً :
— ممتاز يا رفيقي العريف . منك يخرج المحارب الحقيقي .. إلى اللقاء !

وتمتم الصبي ببعض كلمات ، قائلا :
« إلى اللقاء » .

وتركنا الرائد ، مسرعاً إلى المحطة ، نحو « ترامه » الذي كان قادماً . أما أنا ، فقد شددت على يد الصغير ، وسألته :

— هل يمكنني أن أوصلك ؟

— لا .. فإنني أسكن قريباً من هنا ..
إنني لا أخاف .

ونظرت إلى أنفه الصغير ذي النمش ، واعتقدت حقاً أنه لا يخاف من شيء ، الصبي الذي لديه مثل تلك الإرادة القوية ، وهذه الكلمة المتينة لا يخشى الظلام ، ولا يخاف من المجرمين ، ولا يرتجف من أكثر الأشياء رعباً .

وعندما يكبر ، لا يعرف ماذا سيكون .. عندما يكبر .. على أي وضع كان ، فإن المضمون بالفعل أنه سيكون شخصاً حقيقياً ..

هكذا فكرت وأنا أسير وحدي ، مسروراً من تعرفي على هذا الصبي الذي أشد على يديه بقوة .. مرة أخرى .

□□□□

التفتُ ناحية المرأة ولم المح سوى
ضباب يتكاثف في الغرفة والوجوه الجامدة
تقترب مني بأصرار وتحيطني بدائرة دموية
تضيق باستمرار، قالت المرأة التي لها وجه
الدمية :

- انه مازال يتحرك وينظر إلينا!

وتحت نظرات الاستغراب تلك كنت
أهجس شيئاً مرهفاً وحاداً يخترق اوردي
ويغور في دمائي، فتصلبت عروقي
ونفرت متنفخة في اجزاء جسدي المرتجف
والمستسلم لأيدٍ ملساء افعونانية، سمعت
صوتاً لأحدهم يقول :
- فلنبداً العمل...

اختفت تيريزا وزهورها والغرفة
الدائرية البيضاء والشراشف والوجوه
الجامدة والأيدي الملساء الأفعونانية ووجه
الدمية، كان ثمة فقط وجه ريماء يطل من
ضوء شاحب احاط بالقمر الذي كان على
وشك البزوغ، وعبر وجه القمر ووجه ريماء
الذي اخترق الأضواء الشاحبة، تجمعت
سحابات سود اخذت تتكاثف حول
الوجه الضاحك وثمة سحب اضخم
واكثر قتامة تشكل في صورة وجوه مقطبة
عابسة، مغبرة تمر في تجهمٍ من غير ان
تخترق دائرة القمر الشفافة محاولة ضمّ

وجه ريماء الباسم، من خلل العتمة رأيتها
تطل ثم ظهر جسدها شيئاً فشيئاً لا يحجبه
شيء، كانت عارية لا يستر جسدها إلا
قطعة من القماش بلون الغيم تمتد من
ابطيها الى ركبتيها وتلفّ جسدها لفاً
محكماً، فجأة مدت يدها وبحركة لا تردد
فيها نضت الثوب عنها، فتولاني ذعر
حقيقي وانا اراها عارية إلا من شال
شفاف حول وسطها وقد استطعت أن
أميز في الضوء المنساب من القمر على
صفحة بطنها وفخذها الأبيضين ندبات
وجروحاً بليغة متداخلة ساخنه والدماء
مازال تجري منها.. جذبتني أيدٍ كثيرة

برزت من الغيوم السود التي ابعدت جسد
ريماء العاري عني، فازداد ذعري واخذت
ادافع عن نفسي خائضاً انخبط في بحر
الغيم الغاضب باحثاً عن وجه ريماء الذي
اختفى في خضمه، تركتني الغيوم اسقط
على ظهري ثم بركت فوقني واخذ ثديان
هائلان برزا من غيمة واسعة يطبقان على
أنفاسي حتى اوشكت على الاختناق،
تدحرجت من تحتها بعنف وسقطت في
فراغ معتم، بينما داهمتني قوة مكهربة
عصفت بصدغي، وثمة حبال ضخمة
قيدتني وسحبتي على اديم السماء السوداء

الى مكان لا يعرف كنهه احد، كنت مقاداً
كخروف الى مجزرة، احسستُ بصداع
هائل.. اين وجه ريماء؟ جسدها..؟
ندوبها..؟ دائرة القمر الشاحب، لم تكن
إلا الأيدي الملساء الناعمة تلتف
كالأفاعي على جسدي المكهرب المتشنج،
احسست انني انام على أرضٍ متحركة لها
عجلات عملاقة تصدر أصواتاً تصم
الأذان وتسبب لي صداعاً مرعباً.. الى
اين؟ وما الذي يتحرك تحتي؟ لقد عادت
الأيدي من جديد تحملني بخشونة وتلقي
بي في بحر مضطرب الأمواج، اردت أن
اتنفس، ان اتأوه، لكنني غططتُ في موت
عميق..

- انت لم تأكل بعد اليس كذلك؟
- نعم هذا صحيح.
- حسناً لدينا ماتأكله.. تعال..

أومأت لي بسبابتها البضة وهي تخرج
متجهة الى المطبخ، في هذه الأثناء دخلت
تيريزا وسط هالة من دخان سيجارتها،
اقتربت من سريري، ابتسمت وهي تمد
يدها اللدنة الى وجهي تحاول مسح آلامي
بأناملها، قالت:

- كنت رائعاً يافتي، انهم يتحدثون
عك.

جلست على طرف السرير، قلت لها:
- اقتربي.

فتقدمت من فخذي المطروحين
كجذعين يابسين ثم اخذت تدلك بهما
وهي تتقدم بيدها الي بطني وجنبي،
قالت:

- هل تشعر بآلم؟

ثم اضافت:

- سيزول قريباً.

قالت:

- انت شجاع وحيث.

قالت:

- انت ماتبقى لي يا ولد، انت طفلي

الجميل.

- اللعنة عليه كان عنوداً.

- هل ازلت الأسلاك.

- نعم..

- لقد عض لسانه اثناء الغيبوبة.

- هذا بفعل الكهرباء.

- آه كان يبدو كما لو المت به حالة

صرعٍ خبيث.

كنت على السرير مرة اخرى انظر بغير

اكتراث للممرضة التي تقف قبالي

كتمثالٍ من الجبس، حينها رأيتني ابتسمت

بشبق وقالت :

قالت:

- قل لي من أتى بك الى هنا؟

عندئذٍ عادت الأوتار المكهربة تربطني
من جديد وتقودني الى دهاليز الظلمة وفراء
السحب الأسود والثديين الهائلين اللذين
أقضاً مضجعي، ثم رأيت سريراً متحركاً
يدفعه اثنان ملثمان يرتديان الملابس
البيضاء ويحملان مشارط لامعة وحادة،
كانت ربما نائمة على السرير المتحرك
مفتوحة الصدر، شقت رداء الغيمة
القطني وتقدمت مني مبتعدة والدماء
تندلق من صدرها المفتوح بالمشارط الطبية
فافترق نهذاها الصغيران عن بعضهما الى
جانبي جسدها، سألتها:

- لم تعودى تزهري بامنية القلب؟
ولماذا لاتضعين زهوراً واحلاماً في دورق
الحب كما كنت تفعلين؟ ألم تعد لك عيناك
الطفلتان؟ اين ذهبت يداك الطريتان
اللتان تمرين بهما على وجهي الذي غاب
لونه وصار شاحباً منتفخاً، كل ما بقي لي
هو الصراخ في الفراغ والارتجاف وعض
اللسان والتشنج.. لكنها اتجهت صوب
جناحين هفهافين لغيمة مسافرة
وابتعدت، ساعتها حلّ المساء فجأة
وغربت المياه عن يدين كانتا في ماضى

معشوشبتين تبقران سطح المياه الساكنة،
هناك ربما في السماء المتفوحة ترف
باجنحتها البطيئة عابرة جيوشاً من الغمام
الفاحم ولم يبق لي غير الوحشة في غرفة
محاطة بسوادٍ يرتدي الكفن الابيض.

- هل رأيتها؟

- من...؟

- هي.. كانت مفتوحة الصدر.

- من هي؟

- كان لاصطفاق جناحيها صوت

موسيقى الاحلام.

- من هي؟

- انها فيك انت عندما اعود اليك مرة

ثانية، لكنها تتجلى بغياي عنك فتعود هي
الى الوجود بينما تكونين انت في السماء
السابعة بين اودية وهياكل رمزية سوداء
لغيوم عنودة حارسة.. ثم مدت تيريزا
يديها الباردتين وكان سريرى العريض
يضم مخاوف كثيرة واحلاماً مبعثرة تكاد
تسقط من على السرير ففي الصباح
توقظني لأعود الى ربما تاركاً اياها على تخوم
السرير الذي يتحول الى طبقة اوزونية في
سما عريضة فأحلق مع رفرفة اجنحة
الحماثم صاعداً الى السماء التي اكتست
بالورق الفضي فوصلت الى جسدها

الساخن والساكن قلت لها:

- يامنية القلب انني هناك اتألم وحيداً
ولم اعد اذوق طعم الحب، والموت حملك
بعيداً عني، انا منغلق مرتحف الضلوع
ادور في رياح مُهلكة...

لكنها تحولت الى زهرة هائمة في الريح
تطير بعيداً عن الغصون وانا ارقبها جيداً
وأأمل رحيلها الذي لا تملك عنه رجوعاً،
قلت:-

- خذيني يامنيتي.

قالت تيريزا:

- ماذا قلت؟

قالت تيريزا:

- هاك باقة الورد قبل ان تذبل وتموت.

قالت تيريزا:

- لقد هبط الظلام، انهم يراقبوننا

جيداً.. علي بالرجوع سريعاً.

قالت تيريزا

- الى اللقاء غداً.. تعال فأنا بانتظارك

وانتظرت طويلاً مجيئها، مضى الليل

واخذ القمر يذوب ببطء في وضوح الصباح

ويتوارى عن مياهٍ تحيط بي كانت ساكنة

لا تحركها الانسيمات الهواء الرقيقة

المتسربة في فجوة كبيرة في السماء..

قلت:

- لقد انفردت بعيداً عن اصحابي
وخبأت قلبي في جدران بيتنا القديم حتى
اتذكرها في وحدتي هذه، لكنها صارت
بعيدة ابعد من القمر وحاشيته.

بعد ان طلع النهار من جديد وسمعت
حواقر الليل وهي تضرب حجارة الطريق
هارية من اسلاك الضوء الذي انتشر في
سفع السماء، اتذكر انها قالت لي في المرة
الاخيرة حينما تجلت في لحظات غيابي:

- لاتلمس الساعة التي تدق على

الحائط، فقد مرت منها معك بصحبة

طفولتنا وتسلقنا زخرفتها المذهبة وعبرنا

اطارها الخشبي وقطعنا الازهار التي

تزينها.. كان الزمن يشخر كالبركان في

جوف الساعة عند شهيقتها وزفيرها

الابدي.

قلت لها:

- مامن شيء نحبه يا حبيبتي الا ويهرب

منا كالظل، كهذه الارض البعيدة حتى

اننا فقدنا اساءنا وامست بعيدة عن

متناول ايدينا.. انني اراك الآن في ذاك

المنحدر الذي يهدر بعنف دافعاً في طريقه

جسدك الى هناك حيث يرقد اطفال زرق

وميتون..

قلت لها:

- امسكي بي تشبثي بجسدي فقد
اتحول الى غيمة تخفيك عن عيني الزمن
الذي صنع حولك دوائر بيضاء لها طعم
الليل ..
قلت لها :

- ها انت تبتعدين وتحلفين الغيوم
تتجمع جافة صخرية تزار بغضب .
قالت :

- انها لعبة السماء القديمة ونحن
ياحبيبي منازل منذ الطفولة تستوقفنا هذه
اللعبة وهذا الصمت الذي تبثه الاشجار
المتراصة هنا وهناك ..
قلت لها :

- وهل يظل النهار نهارنا دائماً؟
.....
قلت لها :

- لم تعد لي ذكريات ولا احب ان
استعيد الذكريات فهي اشياء تنبعث من
الموت فتضايق الاموات وتحرمهم من لذة
الرقاد ..

في غيابي كانت تحضر وتجلس قبالي
تماماً مفتوحة الصدر عارية الا من الشال
الذي يلتف على وسطها ..
قلت لها :

- اذا كان كل انسان سيتوقف يوماً عن

الحياة فأنا وانت لن نتوقف الا معاً ..
مارأيك؟
ضحكت ضحكة اخفتها للال الغيم
الابيض فلم اتبينها جيداً .
قلت لها :

- تعالي نجلس على جانب الساقية
ونضع اقدامنا في الماء كالأطفال وننظر الى
الاوراق الجافة وهي تسقط كسنوات
الزمن الهرمة في الماء الذي ملأته
الطحالب فتحيل لونه الى الدكنة .

فجأة ادلهمت السماء وزارت الصواعق
من جديد وبرز رجل طويل القامة يشق
عباب الغيم وهو يتقدم نحونا ويحمل في
يده شيئاً لم اتبينه ..
قالت :

- لانتخس ذلك المقبل نحونا فهو
لا يحمل بيده سلاحاً او آلة جارحة وانما
يحمل زهرة حديدية حمراء، انه موتي، لقد
استبطناني، استميحك العذر،
سأرحل... ثم رأيت نفس السرير
المتحرك يعود ليحملها من جديد بينما
يحيط بها رجال مكفنون بالقماش الابيض
وهم يحملون المشارط اللامعة ..

وتركتني من جديد على سريري قبالة
اللون الابيض الذي يزرقي بمواده

السوداء القائمة . . . قال الدكتور:

- انه مايزال تعباً

قالت المرأة الدمية :

- سنزيد من «الفولتية»

قال الدكتور:

- انه يهذي باسم ربما باستمرار

قالت المرأة الدمية:

- ومن تكون ربما هذه؟

قال الدكتور :

- يبدو انها حبيبته ويقال انها انتحرت

والسبب ما زال غامضاً

دخل الغرفة نزيل قديم وتوجّه صوبي

ثم مدّ لي يده وهي تقبض على ورقة

صغيرة وقال :

- هذه من تيريزا . . .

«حبيبي وطفلي الوحيد

لا استطيع المجيء اليوم او غداً

انهم يراقبونني باستمرار، يمكنك ان تحييء

فالمسألة بالنسبة اليك اهون كثيراً . .

تعال . . . فانا بالانتظار

«تيريزا»

وحينما ذهبت اليها رأيتها في الارجوحة

المحاطة بالاشجار والنحل والفرشات،

اومأت لي وذهبت، جلست قربها، كانت

ساخنة تنز عرقاً من جسدها القطني

البض، أمسكت بيدي وعيناها غارقتان

في عينيّ الزائغتين . . قالت لي:

- كم احبك .

ولم اجب

- امسكني بقوة، اضغط على يدي .

ولم اجب

- انت بارد .

ولم أجب

- سأرحل معك يوماً ما، هل تحب

مرافقتي؟

ولم اجب

- اريد طفلاً له عيناك الجميلتان

فأغمضت عيني بينما هبطت دمعتان

على سفوح خديها الورديين قلت لها:

- انت جميلة .

ولم تحب

- سأبحر بعيداً عن اليابسة .

ولم تحب

- انا انتظر شخصاً ما .

ولم تحب

- سنرحل معاً قريباً يا حبيبي .

وفجأة اكتشفنا رداء ابيض يقف

بمحاذاتنا وهو يقول :

- تعالا وخذا علاجكما

فلم نجب

الفكر
العربي
بين
الأصالة
والمعاصرة
في مهرجان
طه حسين
الثالث عشر

«الفكر العربي بين الأصالة والمعاصرة» هو الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله البحوث والدراسات المقدمة لمهرجان طه حسين الثالث عشر الذي أقامته كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ مارس ١٩٨٧ .

أما الشخصية التي كرمها المهرجان هذا العام فقد كانت شخصية الدكتور سليمان حزين - رئيس المجمع العلمي المصري ومن أبرز من تبنى فكرة انشاء الجامعات الاقليمية، كما انه شارك في انشاء جامعات الكويت والرياض وبنغازي .

والتقليد الجديد الذي قدمه مهرجان هذا العام هو اعلانه عن جائزة سنوية، باسم عميد الأدب العربي لأهم ثلاثة مؤلفات تدور حول الموضوع الرئيسي للمؤتمر والذي دار هذا العام حول الفكر العربي بين الاصاله والمعاصرة، وقد تكونت لجنة من الدكاترة سليمان حزين - احمد هيكل - عبد الحميد ابراهيم لفحص ما تقدم من إنتاج لنيل جائزة طه حسين، ومن بين خمسة وعشرين كتابا فاز بالجائزة الأولى كتاب «تجديد الفكر العربي» للدكتور زكي نجيب محمود والذي قامت بترشيحه كلية التربية بدمياط ولجنة الترجمة بالمجلس الاعلى للصحافة، وفاز بالجائزة الثانية كتاب «نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب» للدكتور أحمد طاهر حسنين والذي قامت بترشيحه الجامعة الأمريكية بالقاهرة، أما الجائزة الثالثة فقد فاز بها كتاب «شهرزاد في الفكر العربي» للأستاذ مصطفى عبد الغنى والذي قامت بترشيحه مؤسسة الأهرام.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبداية فقد أثار بحث الاستاذ توفيق حنا والذي جاء تحت عنوان «تكامل اللغة الفصحى والعامية» نقاشا وجدلا واسعين، فقد تحدث الباحث عن انه ليس هناك



اعداد
احمد
فضل
شبلول

تعارض أو تنافر بين الفصحى والعامية بقدر ما يرى أن هناك تكاملاً بين اللغتين، وفي رأيه فإن الفصحى تمثل القدرة على الثبات والاستقرار، بينما العامية تمثل القدرة على التحول والتغير والتبدل. . ودعا إلى استخدام «اللغتين» جنباً إلى جنب، واستشهد في حديثه بما حدث لسكان برج بابل في الأزمة الأولى.

ومن الطبيعي أن لا يمر حديث الاستاذ توفيق حنا ببساطة في جمع يتوسطه عدد من الشعراء والمفكرين واساتذة الجامعة المتخصصين في اللغة العربية، وقد عقت الدكتورة هيام أبو الحسين على ما جاء بهذا البحث قائلة إن اللغة الفصحى هي أساس الوحدة القومية والربط بين التراث والمعاصرة، وإن برج بابل كان لعنة على ساكنيه فقد تعددت الألسنة فامتنع التفاهم بينهم وأدى ذلك إلى الفرقة، وقد ذهب الشاعر عبد المنعم الأنصاري إلى أن ما يدعو إليه الاستاذ توفيق حنا ما هو إلا دعوة شعوبية، بينما قال الدكتور محمد السيد إن اللغة العربية الفصحى السليمة هي أساس ارتباطنا جميعاً بما ندين له، وبهذا الرأي الصائب أغلق باب الحوار في هذا الموضوع الخطير الذي شارك فيه أيضاً بالتعليق كل من الشاعر أحمد سويلم ود. محمد العبد ود. يسرى العزب.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المنهج في الفكر العربي القديم

وعن قضية المنهج في الفكر العربي القديم تحدث الدكتور محمد السيد (استاذ الفلسفة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة) وقال إن الفارابي هو أول من حاول تطبيق المنهج العلمي في الفكر العربي متأثراً في ذلك بأفكار أرسطو ثم اخذ عنه - بعد ذلك - الرئيس ابن سينا - والامام الغزالي والفيلسوف ابن رشد، ثم جاء الفيلسوف الكندي الذي خالف تعاليم أرسطو في أخذه بهذا المنهج. إن الكندي جعل من الرياضيات المقدمة الأولى للتعليم، وهو على عكس ما قال به: أرسطو، فالرياضيات أولاً ثم يأتي تعلم الحكمة، وقد قسم الكندي العلوم إلى علوم دينية وعلوم نظرية، ثم تحدث د. محمد السيد بعد ذلك عن كيفية إثبات الكندي لوجود الله ولوجود البعث عن طريق الرياضيات.

ماذا يريد العلمانيون؟

وتحت عنوان . . «العلمانية والتراث» قدم الدكتور محفوظ عزام بحثه فقال: إن الاستعمار عندما جاء إلى وطننا العربي في القرن التاسع عشر لم يكتف باحتلال الارض، ولكن أراد أن يحتل العقول والنفوس أيضا، ففرض علينا موضوع التفكير وحل مشكلات ليس لها وجود في البيئة التي نعيش فيها، ومن هذه المشكلات . . «العلمانية» وهي أصلا تنتسب إلى العالم أو العالمية على غير قياس، وهي تعني أن تقوم الحياة على غير الدين، وهي مشكلة ليست لها وجود لدينا أصلا، انها مشكلة مستوردة، وقد مرت بها اوروبا في مراحلها الأولى وتم فيها فصل الدين عند الدولة، ولكن مع شيء من التسامح، ثم جاءت المرحلة الثانية في اوروبا وهي المرحلة المتطرفة، وفيها ظهرت المادية الجدلية عند ماركس ولينين وكان من أهم الدوافع اليها في الغرب هو التقدم العلمي التجريبي الذي حرص على حرية الانسان في البحث والتعليم والتأمل، غير أن الأسس التي قامت عليها فكرة التعليم (العلماني) ومن أهمها نظرية داروين في التطور - تكاد تكون خرافية، بل اننا نرى ان بعض علماء التطور وصفها بأنها ليست نظرية وانما لم تصل الى مجرد الفروض . المهم أنه في هاتين المرحلتين تم إبعاد الدين عن الحياة العامة والدولة، وللأسف فإنه لدينا أناس يحاولون نقل هذه الأفكار ونقل العلمانية بحجة التحديث، إن مثل هؤلاء يركزون دائما على المساحات المظلمة في الفكر الاسلامي، وإثارة مشكلات الطائفية، والزعم دائما بأن مبررات الالتزام بمبادئ الاسلام لم تكن الا في عهد النبوة والخلفاء الراشدين .

وقد حاول د. محفوظ عزام أن يوضح مفهومه للتراث، فالتراث هو جذور الأمة وأصولها التي تنتمي اليها، وضرب مثلا بالطبيب الذي يأتي اليه المريض، فيسأله عن حياته الماضية، لأن لها تأثيرا على صحته الحالية، ولو استبعدنا التراث من حياتنا الحالية، فإننا سنكون قد تصرفنا تصرفا غير علمي، وهؤلاء العلمانيون يقصدون بالتراث الاسلام نفسه، مع ان الاسلام يختلف في مفهومه عن التراث،

فالتراث هو جهود المفكرين حول الاسلام . اما الاسلام فهو عقيدة ومنهاج يصلح لكل زمان ومكان .

ثم تساءل د . محفوظ عزام : ماذا يريد العلمانيون عندما يتحدثون عن التجديد والحداثة والتطوير؟ هل يقصدون التجديد من داخل الاسلام كمسلمين ، ام يقصدون التغيير؟ إذا كانوا يقصدون التغيير فإن ذلك ليس تطويراً وإنما تحريف للاسلام ، أما إذا كانوا يريدون التطوير فعلاً من داخل الاسلام كمسلمين ، فهذا يحمد لهم ، ولكننا نقول بأن التغيير لا يكون في الاسلام نفسه ، وإنما في مفهوم التراث بحيث نطرح منه ما لا يصلح لنا ، ونبقي على الصالح بحيث نستفيد منه ونطوره ، وبذلك نربط حاضر الأمة بماضيها ، فيكون ذلك أساساً حياة مستقبلية ممتازة ، وهناك ثلاثة خيارات .

- ١ - إما التطوير الذي يعني التغيير وهذا يسمى تحريفاً ، وعلى أصحاب هذا الخيار أن يعلنوا أنهم لا يقبلون التراث ولا الاسلام .
- ٢ - وإما التطوير من داخل الاسلام نفسه ، وفي هذه الحالة فنحن معهم ونقبل ونناقش ما يقولونه .
- ٣ - وإما الحياد . . وهو في غير صالحنا .

الفكر اللغوي والمناهج الحديثة

وعن موضوع الفكر اللغوي والمناهج الحديثة تحدث د . أحمد طاهر حسنين ورأى أنه ليس من السهل تحديد كلمة «منهج» . . وماذا تعني . . او على أي مستوى . . ؟ وهل «المنهج» في القديم أو في الحديث . . الخ . . ولكنه مع ذلك يرى اننا قد نتفق جميعاً على أن «المنهج» ما هو الا طريقة في التناول أو في البحث ، ومن هنا تتحدد أنواع المناهج والتي منها المنهج الوصفي - المنهج التاريخي - المنهج التربوي - المنهج المقارن - المنهج التقابلي ، ويرى الباحث ان المنهج التربوي قد اصطلح عليه في التراث القديم ، وهو منهج توظيفي - تطبيقي يستفيد من المناهج الأخرى ، ثم تحدث

بعد ذلك عن الأصوات اللغوية أو أصوات اللغة، وإن المحدثين لم يأتوا بأروع مما أتى به القدماء، وخاصة فيما يتعلق بالدراسات المعرفية، كما تحدث عن ضرورة توثيق المادة اللغوية، وعن أخلاقيات الفكر اللغوي القديم والاعتراف بمكانة العلماء واحترام استاذيتهم، هذا الاحترام الذي خلق التواصل بين الأجيال القديمة.

انعكاسات الصلح مع «إسرائيل» على الفكر التربوي والتعليم في مصر

ثم ينتقل بنا الاستاذ محسن خضر - المدرس المساعد بتربية عين شمس - إلى الصراع العربي - الاسرائيلي في الوقت الحاضر، فيتحدث عن انعكاسات الصلح مع «إسرائيل» على الفكر التربوي والتعليم في مصر، وهو يرى ان التعليم في مصر لم يكن بعيدا عن كل التحولات الساخنة التي حدثت في حقبة السبعينات والتي أفرزت - فيما أفرزت - الصلح مع «إسرائيل» والدراسة تكشف عن ملامح التأثير الذي حدث في مجال التعليم المصري بعد توقيع معاهدة الصلح مع «إسرائيل» من خلال رصد موقع الاتجاه القومي العربي في التعليم وسط مناخ التراجع القومي في تلك الفترة، وذلك عن طريق تحليل الوثائق التعليمية الرسمية وتتبع السياسة التعليمية وتحليل المقررات الدراسية للكشف عن ملامح التأثير الحقيقية ومعرفة التغيير الذي طرأ على مسألة الانتقاء القومي العربي في مصر، وهويتها القومية العربية، وفي نهاية البحث تجيء النتيجة الهامة وهي ان المناخ السياسي المهيمن على مصر بعد كامب ديفيد وتحلي القيادة السياسية عن دور مصر القومي في محيطها العربي قد ترك بصماته على التعليم المصري في تلك الفترة فكراً وسياسة ومحتوى تعليمياً، وهو ما يمثل نوعاً من الأزمنة القاسية التي مرت بها عروبة مصر في تلك الفترة من تاريخها.

فكرة انشاء جامعة بحثية في الوطن العربي

ويخلق بنا الدكتور مجدي يوسف في أجواء فكرة إنشاء جامعة بحثية في الوطن

العربي. وعن فكرة هذه الجامعة قال د. مجدي يوسف انه لا يقصد بها تكرار النماذج الحالية الموجودة سواء في المراكز البحثية القومية او الأكاديميات العلمية القائمة أو اقسام البحوث في الجامعات، لأن الطابع العام المهيمن على هذه المنشآت هو: أ - افتقاره إلى أرضية معرفية فلسفية واضحة (بمعنى فلسفة العلم).

ب - اقتصار أغلب هذه البحوث على استخدام الوسائل الاجرائية المستمدة أو التي تعتبر امتداداً لنتائج البحوث الوضعية في الغرب، وما يترتب على ذلك من عدم تحقق استقلالية البحث العلمي في الوطن العربي ومن ثم عدم تلبية لمطالب التطوير المجتمعي في كل أقطار الوطن العربي، ذلك بأن هذا التطوير إن لم ينبع من القدرة الذاتية على إيجاد الحلول الابداعية للمشاكل المطروحة خلال علاقاتها بالكلية الاجتماعية الثقافية والاقتصادية الراهنة (وهذا ما نقصد به الأرضية المجتمعية العربية، فلن يكون الاجهدا ضائعا لا سيما وان صعوبة الحياة وصعوبة تحقيق المتطلبات المادية لحياة الباحث لا تيسر له التوفر التام على بحثه، ومن ثم استسهاله لأقصر الطرق لتقديم إنتاجه بصورة شكلية لا تحقق قدرته الحقيقية على التحصيل.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولا يكفي أن يصبح الباحث في هذا الجامعة البحثية مهياً للتعرف على الكلية المجتمعية التي ينتمي اليها وعلاقة تخصصه الدقيق بهذه الكليات، أو بعبارة أخرى لا يكفي ان يدرك معرفياً أن تخصصه الدقيق ليس سوى نشاط مجتمعي في شكل متخصص وانما لا بد وان يكون نشاطه البحثي جماعياً مع زملائه من المتخصصين في كافة فروع العلوم الانسانية والطبيعية على هذه الأرضية المجتمعية المشتركة، أي بعبارة أخرى، على هذه الجامعة البحثية أن تحقق مبدأ تداخل العلوم - وهو موجود بالفعل في بعض المعاهد الغربية - وان تعيد صياغة هذا المبدأ من خلال ربط هذا التداخل بين كافة العلوم الانسانية والطبيعية بالأرضية العربية المجتمعية المشتركة التي تقف عليها هذه الأبحاث المتداخلة، وهنا يكمن الفارق بين هذا النموذج البحثي ونموذج تداخل العلوم المتواجد في بعض المعاهد البحثية الغربية.

نظرية المحاكاة في الفكر اللغوي

ثم يعود بنا الدكتور محمد العبد للحديث عن نظرية المحاكاة في الفكر اللغوي بين مناهج التراث والمناهج الحديثة مع دراسة تطبيقية على الالفاظ المحاكاة في اللغة العربية، وقد انقسم بحث د. العبد الى جزئين أساسيين الأول: وهو مدخل نظري عرض فيه الباحث لدراسة ظاهرة المحاكاة في التراث اللغوي العربي بالتركيز على جهود عالم اللغة المعروف ابن جني (ت ٣٩٢هـ) والثاني عبارة عن دراسة تطبيقية على الفاظ المحاكاة في العربية من خلال اكبر المعاجم العربية وأوسعها مادة وهو معجم لسان العرب، لابن منظور، وقد انتهى البحث الى عدة ملحوظات ونتائج من أهمها:

- ١ - عدم صدق النظرية التي تزعم ان الفاظ اللغة قد نشأت عن طريق المحاكاة الطبيعية المختلفة، وذلك لقلّة عدد الكلمات التي تتضح فيها المحاكاة.
- ٢ - الاشتراك في محاكاة أصوات انسانية وحيوانية وطبيعية في نفس الوقت.
- ٣ - ليست جميع الالفاظ المحاكاة سواء في درجة المحاكاة، ولكن قد تكون المحاكاة خارجية وقط تظهر وتزول في كلمات معينة.
- ٤ - أن بعض الاصوات تتمتع بسمات دلالية خاصة، ويبدو ذلك في بعض الأصوات اللغوية بشكل ملحوظ مثل السين والشين والصاد والهاء وغيرهما.
- ٥ - إن بعض الالفاظ المحاكاة تفقد قدرتها على المحاكاة من فترة الى أخرى بل قد تتعرض هذه الالفاظ للتطور والتغير.
- ٦ - إن اللغة العربية تشترك مع الكثير من اللغات الحية في مقابلة الكلمات ذات المعاني المتقاربة بأصوات واحدة، مما قد يرجح تمتع بعض الالفاظ بدلالات عامة أينما وقعت من الكلمة ومهما اختلفت اللغة.

الدلالات الخفية والسعادة الفعلية

ومن الطبيعي أن تثير الأبحاث والدراسات المقدمة سواء عن الموضوعات

القديمة او الحديثة آراء بعض الحاضرين والمشاركين. فهذا هو الشاعر محمد عفيفي مطر يعلق بشكل عام على كل ما قيل وتساءل: ما هي الدلالات الخفية وراء ترديد مصطلحات مثل (التراث - الاصاله المعاصرة) في كل جيل وفي كل الأبحاث المقدمة، ان البعد الأول لطرح قضية التراث - كان وما زال - هو البحث عن إثبات جدارة. إننا بشر نستطيع ان نفكر كما يفكر الآخرون. وما هي جدوى قولنا إننا سبقنا فلانا او علانا في اكتشاف هذا الموضوع أو ذاك، إن علينا ان نتجاوز ذلك كله وأن ننظر في موضوعات غير مستهلكة مثيرة للفكر والخيال، ويبدو أن الدكتور هيام أبو الحسين كان لها رأي مخالف تماماً لرأي الشاعر عفيفي مطر فقد قالت أعبر عن سعادتي الفعلية لما دار بجلسه الاصاله والمعاصرة، فالتراث بحر كبير وشاسع، وعلى أساتذتنا أن يقولوا لنا من أين نبدأ بالتراث؟

توصيات المهرجان

ومع اسدال الستار على وقائع مهرجان طه حسين الثالث عشر بكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا برئاسة الدكتور محمد كامل الرئيس وبإشراف د. عبد الحميد ابراهيم عميد الكلية. كانت التوصيات الختامية للمهرجان والتي تلخص في:

- ١ - يوصى المهرجان بإقامة احتفال عالمي يدعى اليه كبار المفكرين في العالم لإحياء للذكرى المئوية لميلاد عميد الادب العربي طه حسين عام ١٩٨٩م تحت رعاية السيد/ رئيس الجمهورية.
- ٢ - تحديد موعد سنوي - مع العيد القومي لمحافظة المنيا - لاقامة مهرجان طه حسين كل عام وذلك انطلاقاً من التحام الجامعة بالمجتمع.
- ٣ - يوصى المهرجان بتأسيس مركز لتحقيق تراث صعيد مصر على أن تساهم جامعة المنيا بالدعم المادي والاشراف العلمي على هذا المشروع.

٤ - الدعوة الى تبني فكرة انتقاء العناصر الثابتة في الثقافة العربية المعاصرة واستبعاد العناصر التي تشكل إنحرافا للعناصر العربية دون الذوبان مع أي فكر آخر وترسيخ هذا المفهوم من خلال الابحاث الاكاديمية .

٥ - توجيه اهتمامات المؤسسات العلمية بترجمة الأبحاث المتميزة من العربية إلى اللغات الأخرى والعكس ، مع التركيز على أعمال المستشرقين المتصلة بالعربية والإسلام ..

٦ - تغيير المفاهيم المتعلقة بالعملية التعليمية واعداد المعلم إعداداً جيداً .

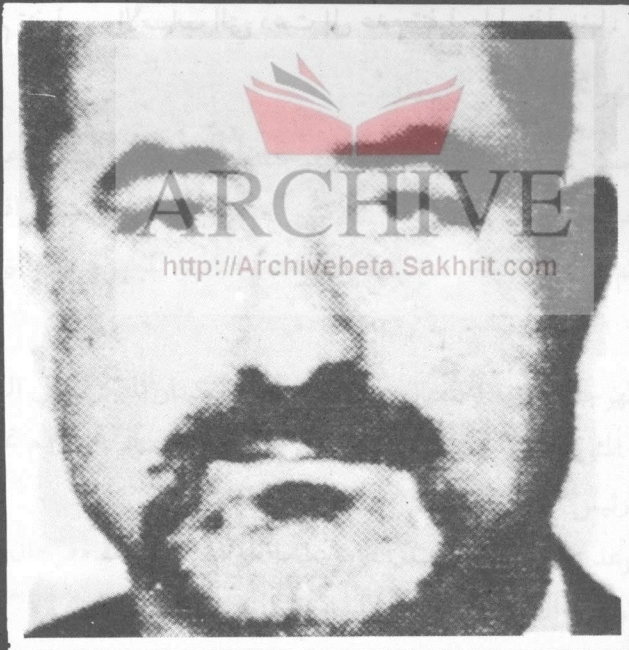
٧ - مناقشة المفكرين والعلماء والمبدعين بتشجيع الفكر الذي يقاوم التخاذل والتراجع ويساعد على تنمية الشخصية العربية المسلمة واستعادة مكانها اللائق .

٨ - تشكيل لجنة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات على أن تقدم في المهرجان القادم تقريراً بما تم تنفيذه، والأسباب التي دعت إلى عدم تنفيذ ما لم ينفذ منها .



حوار مع الأديب

عبد الحكيم قاسم



أجراه
فؤاد مجازي

● موهبة الكاتب غالباً ما تكون أكثر نضجاً وعطاءً من وعيها النظري

● لتحقيق جيل ادباء الستينات
الثوار والمطلوب بين الشكل والمحتوى

● يحتاج المبدع إلى جرأة غير عادية للتعامل مع وسيلة تعبيره



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

مع الذکورة سہیل القلماوی أحب توضیح

● حافظ رجب و محمد مبروک
 موهبتان مبدعتان استطاع عدم الفهم تعطيلهما!

[illegible]

البدايات

● كيف كانت بدايتك مع الأدب؟

— إنها تلك اللحظة التي تحولت الكتابة بعدها بالنسبة اليّ من خوف وعذاب إلى فرحة ومتعة . قبل ذلك كانت الاملاء والانشاء من الأعمال المدرسية التي تكرمني وتضنيني . ثم كان أن كتبت . لعله بيت من الشعر أو سطر من النثر ولما جربت أدمنت . وعرفت الفرق .

● متى بدأت الكتابة . ؟

— منذ عرفتها . أصبحت خطاباتي تمضي إلى الناس من أصدقائي وأقاربي وفيها أنفاس ذلك الذي يملأ قلبي . حاجة تجد التعبير عن نفسها الى ذلك في قصاصات أو صفحات تبقى قليلا ثم تضيع غالباً . كتبت كثيراً من الشعر . لكنني كنت بطبيعتي ميالاً الى النثر .

وفي وقتي - في الاربعينات - كانت القصة المصرية القصيرة قد استوت ظاهرة غالبية في أدبنا وتأخذ مجالا بارزا في الصحف السبارة . ولم يكن عجيباً ان تفتنني وأن أنحو هذا النحو .

نشرت أشعارا صغيرة وتأملات متناثرة في مجلة الحائط في كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية . كان ذلك اول لقاء لي بجمهور قارئ حقيقي . تجربة فاتنة . تقدمت بقتص قصيرة لنادي القصة الا انها ارفضت . فقررت ان لا اشارك في مسابقة لاحقة . ولما خرجت من السجن ارسلت قصة لمجلة الاداب البيروتية عام ١٩٦٥ وقد كان ان قبلت ونشرت .

حكاية ايام الانسان السبعة

● كيف تغلبت على عقبة النشر وأنا اعلم انك ظهرت في ظروف صعبة؟

— الحقيقة أنني أكون غير منصف لو حكيت عن عقبات وقفت بيني وبين وصولي للقراء . أول قصة قصيرة ارسلتها للآداب البيروتية نشرت على الفور . كانت اعمالي محل ترحيب من استاذنا الجليل يحيى حقي حين كان رئيسا لتحرير مجلة المجلة . . ومن قبل الصديق رجاء النقاش حين كان رئيسا لتحرير الهلال . ومن غالي شكري وفاروق عبد القادر حين كانا في الطليعة القاهرية . ومن الصديق الحبيب عبد الفتاح الجمل حين كان مشرفاً على صفحة الأدب في المساء . بالنسبة لرواية ايام الانسان السبعة وكيف أخذت سبيلها إلى النشر ، فتلک حكاية تستحق ان تروى .

فقد تقدمت بمجموعة قصص قصيرة لدار الكاتب العربي التي اخذت على عاتقها نشر أعمال جماعة الادباء الشبان وقتها . سألني الأستاذ اسعد حليم ان كانت عندي رواية لأن الكل تقدموا بمجموعات قصص قصيرة وهي غير رائجة التوزيع يومها كنت قد كتبت ستة فصول في الأيام السبعة ، لكنني قلت له نعم ، فاذا به يريد لها في الحال فأسرعت الى بيتي وكتبت الفصل السابع في ذات الليلة . وفي الصباح كانت الرواية عند الأستاذ اسعد حليم بمكتبه بشارع المالية قريبا من مكان عملي في الهيئة العامة للتأمين والمعاشات في ميدان لاطوغي .

مرت حوالي سنة وكنت اثنائها أمر كل بضعة أيام على الأستاذ أسعد حليم أسأله عن مصير كتابي . يا له من رجل عظيم وصديق عزيز هادئ الصوت واسع الصدر رقيق وسيم مبتسم . كل مرة اذهب اليه بشورتي وغضبي فيلقاني بحلمه وكرمه ، لا يربكه سخطي ولا تخرجه عن طوره فوراتي ، يهدىء من روحي ويعدني خيراً .

ثم ذهبت الى الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور . في مكتبه بشارع ٢٦ يوليو أسأله متجهاً غضوباً عن مصير كتابي . كلمني رقيقاً ودوداً يدعوني الى فنجان قهوة فرفضت بخشونة ، وإن كانت الدعوة قد مست شغاف قلبي . علق صلاح يومها لا بأس انت حر في رفض الدعوة لكن الكتاب سينشر .

كنت قد رأيت صلاح قبل ذلك ورأيت بعد ذلك، وفي كل مرة قابلته فيها أكرمني غاية الاكرام، ودائماً كان ينقل الي ثناؤه عليّ في غيابي حتى أنني في لحظات الضيق كنت أذكر نفسي: ليكن: ثمة شاعر عظيم يجد ما أكتبه جيداً! ذلك بأن صديقة عزيزة - عائدة الشريف مراسلة الآداب في ذلك الحين - أتت إليّ بما كتبه صلاح تعليقاً على الأيام السبعة: «من أحسن ما قرأت في الخمس سنوات الماضية» أبكى صلاح كمصري يبكي شاعراً مصرياً عظيماً، وأبكى فيه رجلاً كانت لديه شجاعة الاعتراف بي قبل أن يعرفني أحد، سلام عليه. لا زالت كلماته أغلى ما في صندوقتي.

نقل الأمر الى الدكتورة سهير القلماوي باعتبارها رئيسة مجلس إدارة دار الكاتب العربي آنذاك. وعندما قابلتها قالت لي: إن تعليق صلاح على الكتاب - وذلك ما لم أكن عرفته بعد - يحركها لأن تقرأه. تركت لها وقتاً طويلاً ثم عدت لأسأل ثم عرفت ان الكتاب في المطبعة منذ زمن طويل. لقد قرأت السيدة وأشرت: «ينشر فوراً».

الكتاب في المطبعة إذن قلت لنفسي إن هذه حقيقة يقف وراءها ثلاثة: سهير القلماوي وصلاح عبد الصبور وأسعد حلیم، وإذن فليهد الكتاب الى هؤلاء الثلاثة. لكن عمال الطباعة، رفضوا رجائي كلية، حيث كانوا قد انتهوا من التجارب الأولى والاهداء يكلفهم إعادة طبع ملزمة كاملة. لذلك فإنهم أمام إصراري هددوا بإخفاء وتعطيل ظهوره شهوراً. ولم يكن بوسعي ان ارغمهم.

وقد أعدت مجلة الطليعة بعد صدور الكتاب ملفاً عن جيل الستينات. وسئلت فيما سئلت عن علاقتي بدار الكاتب العربي، وأجبت فيما أجبت، إنهم نشروا كتابي ولا شيء أكثر، وعُلِّقت الدكتورة سهير القلماوي على إجابتي متحذثة عن نكران الجميل من كاتب كانت تتعشم أن يشكر الدار على القيام بالنشر.

قرأت تعليق الدكتورة وأصابني ذهول. نعم. كان ينبغي عليّ أن أقول كلمة شكر لكنني أجبت على السؤال بدقة حقوقي وموظف حكومي وعلاقة

انسان غير مدرب إجتماعياً وفاقد لكل المهارات التي تتطلبها الحياة بين الناس . فكرت أن أذهب إلى السيدة بنفسى وأوضح لها حقيقة قصدي ، أن أكتب تعليقاً ، أن أفعل أي شيء لكنني لم أفعل شيئاً . أصبت بجمود الحيوانات المجترّة التي يفاجئها ظهور النمر المفترس . نعم . خطأي اصابني بالصمت المطبق . اقلعت الدكتورّة عن عزمها على نقلي من المعاشات الى وزارة الثقافة كما كانت وعدتني ، وانا من ناحيتي كففت عن التردد على مكتبها . حل بيننا جفاء بارد ، ارقبه حزينا ولا أستطيع أن أغيره .

ولما وصلت الى برلين الغربية في يناير ١٩٧٤ تلبية لدعوة معهد الدراسات الاسلاميّة بجامعة برلين الحرة ، والأكاديميّة الايثانجيليّة للاشتراك في مُدَارَسَةٍ عن مصر ، سمعت من الناس هناك أخباراً عجيبية . قالوا لي إن الدكتورّة سهير التي دعيت من ذات الجهتين في عام سابق علمت بنية المسؤولين دعوتي ، وانا استنكرت ذلك وقبحته لهم واستنقصت من شأنى وحاولت إغرائهم بدعوة كتاب آخرين . سمعت ذلك وتألّت جداً . لأنني بخطأي أوقعت السيدة العزيزة في معصية أن تكرهني إلى هذا الحد وأن تصر كرهها في قلبها كل هذه المدة .

إن رغبتى في توضيح نفسى للسيدة الدكتورّة ، والاعتذار لها عن خطأي بعد كل هذه السنين تبدو سخيّة . ليكن . انها رغبة لم اتحل عنها ابداً وأنا فرح بأن تتاح لي فرصة قول هذا الكلام ، وكم يسعدني أن أعلم بأن الدكتورّة سهير قد قرأت هذا الاعتراف .

جيل الستينات

● ما تقييمك لجيل الستينات ؟

— إنه أحد الأجيال التي قامت بدور بارز في صناعة تاريخ الأدب المصري الحديث منذ الطهطاوي وصالح مجدي وحتى الآن . وهو جيل الكتاب الفقراء . كلهم جرب الحفاء وهو صغير وعانى البلهارسيا والأنيميا . وقليل منهم أصاب تعليمًا جامعيًا أو

ثانويًا أو ابتدائيًا . ولم تتح لواحد منهم القراءة الشاملة أو التثقف العميق بالفن التشكيلي أو بالموسيقى . . . الخ .

وقد ظهر هذا الجيل في وقت صعب طرح على الناس أسئلة صعبة وربما فادحة . وكان المظنون أن يتلعم هؤلاء الشاحبون المهزولون الزائفو الأبصار الوافدون على القاهرة أغراباً من كل أقاليم مصر . لكن الشيء الرائع حدث . إن هؤلاء الكتاب صاغوا من نقصهم امكانية باهرة للتححرر من التزامات عقلية أو عقائدية أو تراثية أو حرفية مسبقة . . ! وتمثلوا وجدان الناس بلا فواصل ولا أحكام جاهزة . بذلك وسعهم أن يستوعبوا الوقت الصعب وأن يضعوا للأسئلة العويصة أكثر الاجابات بساطة وإشراقاً .

لم يكونوا وسطاء بين الثقافة المصرية العربية والثقافة الأوروبية . والقليل الذي قرأوه من أدب الغرب تمثلوه ، حتى ما عاد المتفحص يجد شيئاً من المادة الأصلية لهذا الأدب فيما يكتب أصحابنا . كذلك فإن هؤلاء لم يكونوا سلفيين إزاء التراث العربي ، ومعرفتهم القليلة به أشرقت أرواحهم ولم يحاول كتاب جيل الستينات أن يكونوا دعاة دينيين أو عقائديين ، ولا أن يلتزموا حزبياً أو عقلياً أو وجدانياً .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هكذا وقف البعض ازاءهم حائراً غير قادر على استكناه سرهم والوقوف على هويتهم وتقسيمهم وتصنيفهم وتعريفهم . وهكذا لم يكن بالوسع مد جسور التعارف والفهم والاستجابة . بل كانت حملات العداوة والالتهام بالخروج عن الأصول أياً كان التصور للأصول والموقع الذي ترى منه . وكثيراً ما أسفت لهذه الحملات التي يمكن وصفها بالغوغائية واللامبدئية ، وحتى دس الخشيش في الجيوب وإستعداد السلطة .

وطوال الوقت لم يفهم الكتاب النقد الذي كان يوجه لهم ، فبقوا حصنين ضده يعيشون حياتهم العقلية والوجدانية الخاصة بهم باخلاص وتفان . يلتقطون ما تطوله أيديهم من حقائق الحياة المصرية حولهم بكرًا بسيطة طليقة ، يحبونها بشوق ويكتبون عنها بحميمية واقتدار يثيران الدهشة .

في أيديهم تخلصت اللغة من المسلمات غير المحصنة ، ومن التقصر والالتواء ومن الزيادة والترهل . واكتسبت الكتابة الفنية نضارة وشباباً وحيوية مكنها من أن تتناول جوانب في وجدان الانسان المصري ، ونواح في الحياة المصرية لم يكن أحد من قبل يحلم بأن تكون من موضوعات الأدب . وفي أيديهم صارت الأجناس الأدبية مصرية خالصة ، بهذا وسعها ان تحقق التواء بين الشكل والمحتوى وتنطلق بالاثنين إلى آفاق غير محدودة .

كل هذا تم بامتياز وتفوق وطاقة هائلة لازالت تحرك حياتنا الفنية حتى اليوم ، وتضيف للكتابة العربية حساسية وثراء وترسي قيمياً فنية أصبحت تراثاً كلاسيكياً من تراث الثقافة المصرية العربية الحديثة .

التغيير . . بين المجتمع والقصة

● ألا ترى أنه رغم هزيمة ٦٧ القاسية وحاجة الناس إلى الأدب يحثهم على المقاومة والدفاع عن الحياة ، كان كثير من أدباء الستينات مشغولاً بقضايا شكلية بحتة وبينما كان هم الناس التغيير، كان بعض الأدباء تغيير القصة لا تغيير المجتمع . ما أقصده بالطبع بعض القصص غير المفهومة ، وأظنك تفهمني . .

— إن التهديد والعدوان والغزو والاستعمار والنهب والتخريب والتدمير هو قدر مصر في تاريخها الحديث كله . والطغيان والاستبداد والقهر والترويع والاذلال هو قدر المصريين منذ ما وعت الذاكرة البشرية وحتى الآن . وهكذا فان المصري لا يسعه أن يخرج هذه الحقيقة من وعيه ، إنها بعض كيانه الوجداني تحدد أوهامه وهواجسه وحساسياته ولغته ورؤيته للعالم ، وهي بعض كيانه المادي ، تحدد دمه ولحمه وأعصابه وعظامه وقامته .

إذا كان هذا قدر المصري أراد أولم يرد ، فهو من باب أولى قدر الفنان المصري أراد أولم يرد . ومن بين كل أجيال الأدباء المصريين ، فان جيل الستينات انشغل بمعرفة

أجواء الناس الصغار البسطاء المحبطين المظالم ، معرفة ليست مشروطة بشرط ولا محدودة بحد ولا مقيدة بقيد . إذا انطلقت من هذه المقدمة فاني قمين بأن أرد أي دعوى تتناقض مع ما أسلفت .

ثمة في الأمر لبس بين مفهومين يختلفان اختلافاً حاسماً ، لكنها يتشابهان وهما « الأدب » و « الدعوة » . إن « الداعية » إنسان يملك « تصوراً » محدداً لعالمه ، ويملك « تصوراً » محدداً لما ينبغي أن يكون عليه عالمه . وقضية حياته أن يغير الكائن إلى ما ينبغي أن يكون . وهو في سبيل ذلك « يحض » الناس و « يحرضهم » و « يحركهم » سواء كان ذلك بالترغيب أو بالترهيب ، أو كان بالاجبار المعنوي أو المادي أما الأديب فإن له « رؤيته » لعالمه . وقضية حياته أن يعمق « رؤيته » هذه وأن يجد أحسن الوسائل التي تنقلها لمتلقي فيه .

إذا وعينا هذه التفرقة وعياً غير مشوب بالالتباس استقامت في أذهاننا المسائل ، وتنزهنا عن محاولة أن نجد أحدهما في الآخر ، حتى ولو كان الوقت وقت محنة تمر بالوطن ، وضاعت الناس بدور الأديب وتلفتت تبحث عن الداعية الذي يحض ويحرض وينظم ويحرك . وحتى لو أن الأديب إذا نزلت النازلة قد انخرط في دور الداعية استجابة لما حوله من الظروف ، أو أن الداعية قد ارتدى مسوح الأديب ليروج لدعوته بين الناس . أو أن الدورين إجتماعاً في شخص واحد يتراوح بينهما في العملية أو حتى في العمل الواحد . تبقى التفرقة واضحة لنا وضوحاً شديداً يعصمنا من الارتباك أو التجني .

فإذا كان أدباء الستينات قدموا أنفسهم بهذه الصفة ، ولم يزعمو لحظة واحدة أنهم دعاة ، فإن الباحث في انتاجهم إذا أغفل الأدب وبحث عن الدعوة فإنه يبحث إذن عن الشيء في غير نطاقه .

إنهم لا يحضون ولا يحرضون ولا يحاولون تنظيم الناس ولا تحريكهم . لكنهم يرون مصر في تاريخها وفي لحظتها الراهنة ، أعماق ما تكون الرؤية ، وينقلون رؤيتهم للمتلقي في كتابة شديدة القدرة على النقل والاخبار .

أما عن القصص غير المفهومة ، فأنا أتصور أنك تقصد بذلك اثنين من الكتاب هما حافظ رجب ومحمد مبروك . وأنا أحب هذين الكاتبين حباً عميقاً لخصيصة في الاثنين لا تعوض هي حبهما لفنهما وتفانيهما فيه .

وأحب بادئ ذي بدء أن أقول أن الأدب - كأني فن آخر - بقدر ما هو محتاج للتعامل مع موضوعه ، محتاج أيضاً للتعامل مع وسيلته التعبيرية ، أي اللغة . الأديب محتاج لاختضاع لغته للامتحان والفحص والتجريب ، إنه يعجنها ويرجها ويخلطها ويقطعها ويصلها حتى يستخرج منها إمكانيات تعبيرية كامنة فيها ، أو أن يعطيها قدرة أخرى على القول والتعبير .

ذلك في تصوري هو بالضبط ما قام به الكاتبان حافظ رجب في مجموعة [الكرة ورأس الرجل] ومحمد مبروك في قصتي : صوت صمت نرف نصف طائر . . . ثم . . . الكهل الداعر . هذه الأعمال اشتهرت بين جمهرة نقاد لم يقرأوها . وهذا هو الاهمال الجسيم من الذين تحمسوا لها ومن الذين رفضوها . كلهم فعل ذلك بعد قراءة العنوان وسطر أو اثنين في أول القصة ، وبعد هذا تحمس الذي خشي أن يتهم بعدم فهم الفن الحديث ، وسخط الذي صدمه شيء لم يعتده ولم يأت على قد مقاييسه .

وكلهم لم يظن إلى احتياج الفنان الملح للاجتراء على وسيلة تعبيره حتى تغيير ملاحظها الأساسية المعتادة . وكلهم كان من الممكن أن يظن إلى ذلك لو صبر على القراءة وأعلى العمل الفني على رغبات ذاته وخضع له وتركه يأخذ في نفسه حيزه الكامل . لكن أحداً لم يفعل وبقيت أعمال محمد مبروك وأعمال حافظ رجب توصف بكلمات غامضة تتكلم عن التحديث وعن التغريب وعن الاسفاف وعن التعالي على الناس . . . حتى التشكيك في الوطنية .

وكان الأولى أن تقيّم تجربة الكاتب مع لغته لمعرفة مدى نجاحها أو فشلها في تحقيق هدفه منها . إن ذلك كان قمينا بأن يعين الكاتب على مواصلة نهجه بثقة أكثر وأمان أكثر حتى يصل إلى غايته ، وأن يعين القارئ على تلقي كتابه وإحاطته بالفهم في معاناته من أجل تجديد فنه . لكن المبالغة في المدح والمبالغة في الذم كانا يشيان بعدم

المعرفة ، فعملًا كلاهما على عزل الكاتبين وإحاطتهما بعلامات الاستفهام وذلك على غير أساس .

فان كل كتاب جيل الستينات - أو شك أن أقول بلا إستثناء واحد - إنشغلوا بوسيلتهم التعبيرية وأخضعوها للمساءلة والتجريب . جمال الغيطاني في بعض قصصه أعاد الحياة إلى لغة الكتب القديمة ليصل إلى هدفين أتصور أنه رسمهما لنفسه بوعي فهو قد اجتهد بأن يقول : إن الظلم في مصر قديم ، وأن يسم الظلم في العصر الحديث بأنه مملوكي بربري يرجع بأصوله إلى القرون الوسطى .

إبراهيم أصلان نحت لنفسه لغة شديدة الحياد ليواجه بمفرده وببطولة نادرة المثال لغة وسائل الاعلام والكتابة السياسية والأدبية الغارقة في المبالغات والحافلة بالمصطلحات والتساوير الحاملة بالمستقبل والخائفة من الالتفات للواقع . كان هم إبراهيم أصلان أن يقلل إلى أقصى حد من قدرة لغته على الإيحاء وأن يقسرها على واقع الحال .

هذان مثالان ولا أنوي أن أتناول الجيل كله ، الذي جرب كل كاتب من كتابه مع لغته تجربة تختلف مداها من واحد لآخر وميزت كل إنتاج بميزة صاحبه . لكن حافظ رجب ومحمد مبروك ذهباً إلى آفاق بعيدة جداً . رغم ذلك فقد كانا دائماً في نطاق الحد المشروع للكاتب في التجريب مع وسيلته التعبيرية . وكان تجاوب النقاد مع المحاولة محزناً مؤيداً كان أم رافضاً .

وإذا كانت موهبة الكاتب في الحقيقة وغالباً ما تكون أكثر نضجاً وعطاء من وعيه النظري ، فإن الكاتبين في تصوري لم يستطيعا النجاح في التنظير لما ينيان تحقيقه . موهبة الناقد عادة ما تكون شديدة التواضع بالنسبة لما يكوّمه في دماغه من قراءات ولما كانت قراءات النقاد عادة ما تتكون من نصوص منتزعة من محيطها الأوروبي أو العربي القديم ، وتتكون من نظريات منبئة الصلة بتطبيقاتها ، لما كان الأمر كذلك ، فان هذه القراءات غالباً ما تعجز عن تكوين الناقد ، إنما هي تنتج الرقيب . هؤلاء لا ينفقدون إنما هم يفتشون وفي أيديهم أختام زرقاء وحمراء لا يعرفون من دلالتها إلا الرفض أو

الاجازة . أما الفهم فبضاعة نادرة .

والكاتبان اللذان لم يكونا على بيئة تامة - في ظني - بمدى مشوارهما صدمتا بحائظ من عدم الفهم الذي يؤيد وعدم الفهم الذي يرفض . وأنا أشكو إلى الله غباء قد يكون هو السبب في تعطيل موهبتين كبيرتين هما مبروك ورجب . وأرجو أن يعود الكاتبان إلى الخلق مرة أخرى فنحن في إحتياج كبير لهما .

الرؤية والبناء

● هل يمكن أن تحدثنا عن موضوع دراستك . . وكيف وفقت إليها . ؟

— إن موضوع دراستي هو جيل الستينات في إطار الظروف الاجتماعية والسياسية . لقد عشت هذا الجيل وأحببت كتابه واحداً واحداً . كل واحد منهم عالم خاص يأسرني حتى الافتتان . وقد كان شوق حياتي أن أضع عن هذا الجيل الحقائق في موضعها . وقد ذهبت الى برلين الغربية لانجاز ذلك .

● أنت مبدع في المقام الأول ، فكيف يستقيم هذا مع دراسة أكاديمية يغلب عليها الطابع النقدي ؟ وإلى ما وصلت في رسالتك أو دراستك ؟

— من الخطأ أن نتصور أن الفن مناقض بطبيعته للبحث العلمي . الفن عمل معماري رياضي من الطراز الأول . ولأضرب لذلك مثلاً : أستاذنا الكبير نجيب محفوظ . إنه في المحلّ الأول بناء عظيم . وجماع عمله الأدبي ينبع من رؤية للمجتمع والتاريخ شديدة الرسوخ والتماسك . وهذان - أعني الرؤية والبناء - هما الشرطان الهامان لانجاز دراسة أكاديمية .

لكن الحق أن العمل الأكاديمي عمل يستغرق الحياة كلها ويتطلب جهد الانسان كله كذلك بالضبط يفعل الفن . فالتوفيق بينهما في حياة واحدة لانسان واحد شيء بالغ الصعوبة وتلك كانت مشكلتي طول مدة دراستي .

اللغة والموضوع

● بعد قراءتي لروايتك الأخيرة « قدر الغرف المقبضة » لاحظت عدم احتفالك باللغة كما كنت تفعل في قصصك الأولى ، أعني الجزالة المفرطة على حساب المعنى من وجهة نظري ، أرى أنك أصبحت أكثر بساطة والكلمة تناسب المعنى ، فما سر ذلك وما رأيك فيما أخذه عليك بعضهم في استخدام كلمة « المرناة » بخلاف الشائع « تليفزيون » فما هو تعليقك ؟

— ما تقوله من أن الجزالة المفرطة في قصصي الأولى قد أتت على حساب المعنى ، هو قول حقلك عليّ أن أسمع ، وحق نفسي عليّ أن أردّه عليك . وأتجاوز المسألة للوصول إلى حقيقة بسيطة مؤداها إختلاف اللغة عندي باختلاف الموضوع . فأيام الانسان السبعة ذات محتوى غنائي إنشادي احتفالي حنون . هذا يحتم لغة خاصة قادرة على أن تشي بكمية الشعر الكامنة في الموضوع . روايتي الثانية محاولة للخروج هي تجربة السخط والتمرد والولع بالأنثى ، فهي لغة مشحونة متوترة حاملة ومحلفة . في قدر الغرف المقبضة توشك اللغة أن تكون محايدة لكي تترك لقبح المساكن كامل وقعها على القارئ . الموضوع يخلق لغته تلك هي المسألة .

<http://Archivebeḡa.Sakhrīt.com>

أما عن هؤلاء البعض الذين أخذوا عليّ استخدام « المرناة » بدلا من « التليفزيون » فإنهم لا يدركون أن تشويه لغتنا بحشوها بالمفردات الدخيلة يؤدي إلى الاضرار بقدرة الناس على الوعي بما حولهم ، بل يؤدي إلى تبليهم بتغريب الموضوعات التي في متناول أيديهم . إن « مرناة » كلمة وضعها مجمع اللغة العربية بناء على اقتراح الأستاذ المرحوم محمود تيمور . وهي كلمة رقيقة موافقة لذوقنا المصري . وهي كاسم دالة على المسمى دلالة واضحة . .

وقد درجنا على أن نحول أعمال المجمع إلى مادة لسخريتنا . بدأ الأمر بترديد نكات سخيفة مثل « شاطر ومشطور وبينهما طازج » على ألسنة صحفيين جهال وقحين . ثم أصبح عرفاً حتى بين مثقفين كان المتوقع أن يكونوا جادين . ذلك أمر

محزن . فهؤلاء الرجال الجالسون في المجمع يحاولون جهدهم حماية لغتنا وثقافتنا من أن تنحل إزاء اجتياح التأثير الغربي ، وخلق بنا أن نبجل عمل هؤلاء الناس وننصت لمقترحاتهم إنصتاً مخلصاً وأن نتيج لها أن تتغلب على عقبة عدم الاعتياد والاستغراب .

إن الصناعة تخرج علينا كل يوم باختراع جديد . واللغات الأوروبية تحل المشكلة باطلاق أسماء لاتينية على هذه المخترعات . واللغة اللاتينية لغة هندوجرمانية أخرى . وعليه فالأسماء اللاتينية للأجهزة الجديدة مستساغة من المتحدثين بكل اللغات الأوروبية . ومع ذلك فإن الألمان رفضوا كلمة « تليفزيون » واستخدموا الكلمة الألمانية القحة (فرن سيهر) بل إن العوام يطلقون عليه « جلوتسه » من الفعل « جلوتسن » يعني يبخلق أو ينظر بدهشة .

إن الآلة إذا كانت قد خرجت إلى الحياة في وسط جماعة من الناس فإن هذه الجماعة ستجد لها اسماً ، وكذلك لو كانت هذه الآلة قد بقيت في أيدي الناس زمناً طويلاً كافياً للتعرف على خصائصها ودورها . لكن طوفان المخترعات لا ينقطع . لذلك وإزاء هذا الوضع لا بد من الالتفات لمجمع اللغة العربية وإحترام قراراته وإتباعها حتى لو بدت غريبة وغير معتادة ، إنني أتذكر مثال الرتب العسكرية عندنا . لقد استبدلت بقرار في يوم واحد . هل ننتظر قراراً يطهر لغتنا من الشوائب . ألا يفرض علينا إحترامنا لذاتنا وللغتنا وثقافتنا ألا ننتظر قراراً من أعلى حتى نعدل عن كلمات غريبة إلى كلمات عربية صحيحة .

بطاقة تعريف

- عبد الحكيم قاسم
- بن الحاج محمد عبد الله قاسم .
- مزارع من أهالي ناحية البندرة مركز السنطة محافظة الغربية .
- مقيد بدفتر مواليد الناحية بتاريخ أول يناير ١٩٣٥ .
- لكنه ولد قبل ذلك ببضعة أسابيع في بيت جده لأمه الذي كان يعمل أميناً لشونة بنك التسليف الزراعي المصري في قرية ميت القرشي دقهلية .
- كان طفلاً نحيلاً معلولاً رعاة أبوه وآثره وكان له عليه تأثيراً عميقاً .
- درس في مدرسة الأقباط الابتدائية بميت غمر ٤٣ - ١٩٤٨ حيث كان يبقى في بيت جده لأمه - الذي انتقل موظفاً كتابياً إلى فرع البنك في المدينة أيام الدراسة ، ويعود لقريته في الصيف وقت العطلة .
- درس في مدرسة الناصر الثانوية بطنطا حتى عام ١٩٥٤ .
- بعد مرض طويل بالمalaria وتردى احواله الدراسية هجر قريته وبيت أبيه ومدرسته ورحل إلى القاهرة صيف ١٩٥٤ حيث عاش في غرفة على سطح إحدى عمارات شبرا ، عمل في محل حلوى ثم مكتب أحد المحامين . حصل على التوجيهية في صيف العام التالي .
- درس الحقوق في جامعة الاسكندرية بدءاً من عام ١٩٥٥ . احب الدراسة والمدينة إلى أقصى حد .
- وقع العدوان الثلاثي ١٩٥٦ . تطوع في الحرس الوطني . رأى المدينة تطفئ أنوارها الباهرة وتقع في الظلمة والخوف .
- قبل أن ينهي دراسته مرض أبوه وتدهورت أحواله المالية . اضطر الى ان يترك الجامعة ويلتحق بعمل كتابي في هيئة البريد بميدان العتبة في أغسطس ١٩٥٩ .
- كان يتردد على ندوة حسين القباني صباح كل جمعة في كازينو على النيل في منيل الروضة . هناك قرأ أول قصة قصيرة له .

- قبض عليه في عمله صباح ٢٦ ديسمبر ١٩٥٩ وقدم للمحاكمة بتهمة الانتفاء للحزب الشيوعي المصري وحكم عليه بالسجن خمس سنوات من مجلس عسكري عال. بقي في السجن حتى ١٤ مايو عام ١٩٦٤.
- كان لقاؤه بإسماعيل المهدي في سجن اسكندرية أثناء المحاكمة تجربة عقلية هامة كذلك كانت مدة بقاءه في سجن الواحات الخارجية من اخصب فترات حياته هناك كان اليسار المصري كله بفنائه ومفكره وقادته السياسيين والنقابيين، محشوداً في صعيد واحد.
- بعد الإفراج عنه عمل في مكتبة السيدة ركسان ارملة الشهيد شهدي عطية الشافعي، التي افادته صلته بها كثيراً.
- حصل على ليسانس الحقوق في يونيه ١٩٦٦.
- عمل في الهيئة العامة للتأمين والمعاشات حتى عام ١٩٧٤.
- دعتة الأكاديمية الانجليزية ومعهد العلوم الاسلامية ببرلين الغربية للاشتراك في مدارس عن مصر. سافر لبرلين في يناير عام ١٩٧٤.
- درس في معهد العلوم الاسلامية بجامعة برلين الحرة.
- اعد رسالة دكتوراة عن أدباء الستينات.
- نشرت له حتى الآن الكتب الآتية: <http://Archivebeta>.
- أيام الانسان السبعة - رواية - ١٩٦٨.
- محاولة للخروج - رواية - ١٩٧٨.
- قدر الغرف المقبضة - رواية - ١٩٨٣.
- الاخت الأب،
- وسطور من دفتر الأحوال - قصتان - ١٩٨٣.